
KÖPRÜLÜ KÜT.
725

رسالة للحرث المحاسبي




KÖPRÜLÜ KÜT.
725









بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابو عبد الله الحرث بن اسد بن عبد الله المحاسبي رحمه الله
يروى عن بعض الحكما انه قال اوصيك ونفسي ومن سمع كلامي بتقوى الله
الذي خلق العباد • واليه المعاد • وبه السداد والارشاد • فاتقه يا اخي
تقوى من قد عرف قرب الله منه وقدرته عليه • وامن به ايمان من قد اقر
بالوحدانية والفردانية • والازلية والابدية • لما ظهر من مشاهدة ملكوته
وشواهد سلطانه • وكثرة الدلايل عليه • والايات التي تدل على ربانيته
ونفاذ مشيته • واحكام صنعته • وبيان قدرته على جميع خلقه • وحسن تدبيره
الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين • وثق به يا اخي ثقة من قد حسن
ظنه به • وقل تهمته له • وصدق بوعده • ووثق بضمانه • وسكن قلبه عن
الاضطراب الى وعده • وعظم وعيده في قلبه • واشكره يا اخي شكر من قد عرف
فضله • وكثرة اياديه عنده وبره به • وتعرف نعمه الظاهرة منها والباطنة
الخاصة منها والعامة • واخلص له اخلاص من قد عرف انه لا يقبل له عمل الا بعد
تخليصه من الافات واخلاصه لله لا شريك له • ولا يشرك مع الله في عمله احدا سواه

واعلم

واعلم يا اخي ان اشراك المخلوقين في العمل ان تتزين لهم العبد في مواطن الامتحان
فيكذب في عمله او يرائي ليكرم ويعظم ويجبن بنوله ويحاسن بما يظهر من عمله وهو يعرف
ذلك من نفسه او يجهله منها لا ينجو من ذلك ولا يسلم يا اخي من شره الا من هرب
من مواطنه وتحفظ وهو لا يحب ان يطلع له مخلوق على عمل ولئن اطلع له مخلوق
على عمل وهو لا يحب اطلاعه فمن صدقه ان لا يحب ان يحمده ذلك المخلوق
على ما اطلع عليه من عمله وان حمده وهو لا يحب حمده فلا يسر بحمده له على عمله
فان سر فلا يسرن لمعنى دنيا بسبب من الاسباب • ثم اصدق يا اخي في ذلك
وفعلك صدق من قد عرف ان الله مطلع على دخيلة امره وسره وعلانيته
وما طوى عليه ضميره وتوكل عليه • يا اخي توكل من قد وثق بوعده واطمان
الى ضمانه ثقة منه بوفايه ورضي منه بقضايه واستسلاما منه لامره وايمانا بقدره
وتقبيا صادقا منه الجنة وناره • وخفه يا اخي خوف من قد عرف سطوته
وشدة نقمته • واليم عذابه ومثلته • واثار وقايعه بمن خالف امره وعصاه
وتعرف يا اخي انه لا تمسك لاحد خذله • ولا شفقة على احد وفقه وسدده وحاطه
وحفظه وانه لا صبر لاحد على عقوبته ونكاله وتغيير نعمه وارجه • يا اخي رجا من صدق
بوعده • وعاين ثوابه • واشكره شكر من قبل منه محاسنه • وصلح عمله وحباه من مزيد
اياديه • وجزيل ثوابه ما لم يبلغه بعمله • واستحيه يا اخي حيا من قد تعرف كثير تفضله
وجزيل مواهبه • وعرف من نفسه التقصير في شكره • وقلة الوفا منه بعهده • والعجز
عن القيام باداء لازمه من حقه • ثم لا تعرف من خالقه الا جميل الستر وعظم العافية
وتتابع النعم ودوام الاحسان اليه وعظيم الحلم والصفح عنه • ثم اعلم يا اخي ان الله
جل ذكره قد افترض فرايض ظاهرة وباطنة • وشرع لك شرايع دلك عليها
وامرك بها ووعدك على حسن اداتها جزيل الثواب • واوعدك على تضييعها

رحمة منه لك

البهم المصائب رحمة لك وحذرك نفسه شفقة منه عليك ❁ فتفهم يا اخي نور الله
والزم نفسك اتباعه ووافق سنة نبيه صلى الله عليه وسلم واتبع آثار اصحاب نبيه
والزم كل سيرتهم ومذاهب رايهم واسلك طريقهم واقتد بهداهم وتوسل الى الله
بمحبتهم وحبهم لانهم هم الذين اثنى الله عليهم ووصفهم واختارهم لصحبة
نبيه وجعلهم له اصحابا واخدانا والله اعلم يا اخي ان علامة حبك اياهم لزومك لحبهم
مع استقامة قلبك وصحة عملك وصدق لسانك وحسن سريرتك لا مرديا
ولا مخالفا كما كان القوم في هذه الاحوال كلها فهذا تحقيق منك لصدق دعواك
لحبهم والتمسك بسنتهم فاذا صحت فيك ومنك هذه الخلال كنت صحبتهم وفيهم
كنت صادقا في حب القوم وحسن الاتباع لهم وان كنت مدعيا لحبهم وانت
مخالف لافعالهم عادل عن سبيل الاستقامة لطريق المحجة التي كانوا عليها فانت
مائل الى موافقة هواك عادل عن سيرتهم ليس بصادق في دعواك فلا تخدعن
على نفسك بخلاف محبتهم والدعوى انك على سبيلهم فمتى فعلت ذلك صح فيك
جهل وكذب وتعرضت للمقت من اللطيف الخبير ولكن اقرارا واستغفارا فذلك
اولى واشبه بمن كانت هذه صفته ❁ في معرفة الحق ❁ فليكن لك يا اخي في الحق
نصيب فانه قد قيل ليأتين على الناس زمان يكون المقر فيه بالحق ناجيا فاذا
انت عرفت الحق فاقررت به وذلك الحق ان الله عليك مع الفرائض
الظاهرة فرضا باطنا وهو تصحيح السرائر واستقامة الارادة وصدق النية وتفتيش
الهمة ونقاء الضمير من كل ما يكره الله وعقد الندم على جميع ما مضى من الذنوب بالقلوب
والجوارح على ما نهى الله عنه وهذا امر جعله الله مهيمنا على اعمال الجوارح فما كان
من اعمال العبد من عمل ظاهر توسل به في الباطن فما صح ووافق باطنه صلح وقبل
ظاهره وما خالف وفسد باطنه ردت عليه اعمال ظاهره وان كثرت وحسنت

ظاهرها

ظاهرها لفساد باطنها وتحقيق ذلك كله قول الله تعالى وذروا ظاهر الاثم
وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ❁ وقول النبي
صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لامرئ ما نوى وقوله في ابن آدم
مضغة اذا صلحت صلح سائر جسده واذا فسدت فسد سائر جسده [illegible]
الا وهي القلب وقوله ان الملك ليكثر اعمال العبد بعد وفاته عند الله تعالى
فيقول عبدك لم ازل معه حتى توفيته ثم يذكر محاسن عمله فيكثر حمده وطيبه وحسن
الثناء عليه فيقول الله تعالى للملك انت كنت حفيظا على عمل عبدي وانا كنت
رقيبا على قلبه وان عمله الذي كثرته وطيبته لم يكن لي خالصا ولست اقبل
من عبد من عبيدي الا ما كان لي خالصا ❁ فاعرف يا اخي نفسك وتفقد احوالها

في معرفة النفس

والبحث عن عقد ضميرها بعناية منك وشفقة منك عليها مخافة تلفها
فليس لك نفس غيرها فان هلكت فهي الطامة الكبرى والداهية العظمى
فاحد النظر يا اخي بعين نافذة البصر حديدة النظر حتى تعرف آفات
اعمالها وفساد ضميرها وتعرف ما يتحرك به لسانها ثم خذ بعنان هواها
فالجمها بلجام الخوف وصدق الخلاف عليها وردها بجميل الرفق الى مراجعة
الاخلاص في عملها وتصحيح الارادة في ضميرها وصدق النطق في لفظها واستقامة
النية في قلبها وغض البصر عما كره مولاها مع ترك فضول النظر الى ما يدعو
النظر اليه مما يجلب على القلب عشقا وحب الدنيا وخذها بالصمت عن استماع
شيء مما كره الله من اللهو والخنا وفي تناولها وقبضها وبسطها وفي فرجها
وحزمها وخذها بتصحيح ما يصل الى بطنها من غذائها وتستتر به عورتها وخذها
بجميع همها كلها ومنع فرجها عن جميع ما كره مولاها ويكون ذلك منك بتيقظ
وازالة الغفلات عن قلبك عند كل حركة تكون منك وسكون وعند الصمت

والمنطق والمدخل والمخرج والمنشط والحب والبغض والضحك والبكاء فتعاهد
في ذلك كله فان لنفسك في كل نوع ذكرناه من ذلك كله سبب لهواها وسبب
لحظها وسبب لبعضها فان غفلت وانقدت هواها وغفلت عن مناقشة
حظوظها كان جميع ما ذكرت لك من ذلك كله معاصي منها وان انت سقطت
بالغفلة ورجعت بالتيقظ الى خلاف هواها كان معك الندم على غفلتك
وسقطتك ورجع ذلك كله احسانا وطاعات لك • فتفقدها يا اخي بالعناية
المتحركة منك لها مخافة تلفها فانك تقطع عن ابليس طريق المعاصي وتفتح على
نفسك الخير وما التوفيق الا بالله العلي العظيم • واتهم يا اخي نفسك على نفسك
اشد من تهمتك اعداء عدو لك • وخف يا اخي من لسانك اشد من خوفك من السبع
الضاري القريب المتمكن من اخذك فان قتيل السبع من اهل الايمان ثوابه الجنة
وقتيل اللسان عقوبته النار الا ان يعفو الله فاياك يا اخي والغفلة عن اللسان
فانه سبع ضاري واول فريسته صاحبه • فاغلق باب الكلام عن نفسك
بغلق وثيق ثم لا تفتحه الا فيما لا بد لك منه فاذا فتحته فاحذر وخذ من الكلام
حاجتك التي لا بد لك منها واغلق الباب واياك والغفلة عن ذلك والتمادي
في الحديث وان يستلذ بك الكلام فيهلك نفسك فانه يروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لمعاذ بن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم في جهنم الا حصائد
السنتهم • وسأله رجل فقال ما التقى فقال هذا يعني لسانه • وقال له رجل ما اخوف
ما تخاف علي فقال هذا واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بطرف لسان نفسه
وقال له آخر ما النجاة فقال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك
على خطيئتك • وقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا • وقال من سره ان يسلم
فليلزم الصمت • وورد عمر على ابي بكر رحمهما الله وهو يجبذ بلسانه

في معرفة اللسان

فقال له عمر ما تصنع فقال هذا اوردني الموارد • وقال ابن مسعود ليس شيء احق
بطول سجن من اللسان • وقال لنا ابو شيخ الحرم ابن ابي سلمة الكلبي • ويقع جنايات
كثيرة في اللسان فاياك يا اخي والغفلة عنه فانه اعظم جوارحك عليك جناية
واكثر ما تجد في صحيفتك يوم القيامة من الشر ما املاه لسانك واكثر ما تجد من الخير
في صحيفتك ما اكتسبه قلبك وذلك ان الثواب قلوب الحكماء واهل البصائر
بالخير اعمال خفية تخفى على ابليس وعلى الحفظة فهي اعمال نقية من الآفات زاكية قد
حصنت مع خفة مؤونة على اهلها جزيل الثواب مخلصات من نحو العدو
ومن هوى النفس وذلك لانها اعمال مستورة من اعين العباد جارية في ذلك ان
العبد يحصل النجاة بها وقاعدا ومضطجعا فاولئك هم اولوا الالباب الذين
يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم واكثر ذكرهم التفكر قال ويتفكرون
فهم اهل الاعمال من المؤمنين الذين عبدوا الله عبادة لم تظهر منهم • وتعاهد
يا اخي قلبك باسباب الآخرة وعرضه لذلك وصنه من اسباب الدنيا ومن ذكر
يجر الى الحرص والرغبة ولا تاذن لقلبك في استصحاب ما يغشى طلبه ويطفئ
نور القلب من اجله ولكن في تاليف ما بينه وبين محمود العاقبة حريصا وخوف
نفسك عقوبة ما في يديك من الدنيا وقلة ادائك لما يجب عليك فيه من الشكر
واستكثر ما في يديك لما تعلم من ضعف شكرك حتى تشغل النفس بما في يديها عن الفكر
في امر الدنيا والمحبة للزيادة منها فاذا اجمعتها من ذكر الزيادة من الدنيا وحملتها
على درجة الخوف مما في يديها قنعت ورضيت وعفت عن طلب الدنيا
بالحرص والرغبة ورجعت الى الآخرة بالحرص عليها والرغبة فيها فان النفس
مبنية على اساس الطمع ومخرج الحرص والرغبة من الطمع وبنا الانفس على قوة الطمع
فاما الطمع في الدنيا فيستعمل اداة الطمع في طلب الزيادة من الدنيا واما الطمع

في معرفة طلب الآخرة وترك الرغبة في الدنيا

في الآخرة فيستعمل اداة الطمع في طلب الزيادة من اعمال الآخرة بالحرص عليها والرغبة
فيها ❁ قيل لحكيم ما آلة الطمع وجماع ازمّته قال الشره والحرص وهيجان الرغبة
بعلو الهمة واذا قلت طمعها احضرت دواعيها وهيجت لها وجدت في طلبها
فاذا تجردت صاحبها العبد على موافقة هواها استعبدته فاذهلته واذلته واذهبت
النعمة وطيشت عقله ودنست عرضه واخلعت مروته وفتنته عن دينه وان كان
عالما لبيبا نبيلا كيسا فطنا نصيحا حكيما فقيها فلمروته واسقطته وفضحته فاحتمل
ذلك كله وهو الاريب اللبيب العالم الاديب حتى تراه بعد العلم جاهلا سفيها
احمقا خفيفا وذلك انها سفهته من موافقة هواها كانما انتماضرها فاستمالته فمال
بعلمه وعقله وفهمه ونفاذ حكمته وبصره فاجراه مجرى هوى نفسه فعجلت له الفضيحة
في عاجل الدنيا عند حكمائها وعقلائها واسقطته من عين الله واعين عباده من اهل
البصائر واورثت له آجل الندامة الطويلة عند مفارقة الدنيا وفي عرصة القيمة ❁
فاذا قطع العبد عليها الطمع من اسباب الدنيا وغلب بعقله هواها رجعت بطمعها
الى منازل الآخرة واحضرت ادواتها واستعملت لها فاشتغلت بطلب اسباب
الآخرة لا محالة لانها مبنية على الطمع فاذا تجردت من طلب اسباب الدنيا واقبلت
على نفسها بالاياس من المخلوقين رجعت برغبتها وطمعها الى طلب اسباب الآخرة
فجدت في طلبها واجتهدت وعزفت عن الدنيا وباينت الهوى وخالفت
العدو وتبعت العلم وكانت مطيته للعقل صابرة على مر ما يدل عليه الحق فنجت
والحمد ❁ فتعاهد يا اخي قلبك عند همه والزمه الفكرة في امر المعاد فلا يغافل
قلبك ذلك وتوهم بقلبك اهول المطلع عند مفارقة الدنيا وتركها فقد بذل
اهلها فيه مهج انفسهم وتدنيس اعراضهم واخلاق مروءاتهم واتعاب ابدانهم
ثم تركوا ذلك كله وقدموا على الله فرادا احادا مع ما قد وردوا عليه من وحشة القبر

في معرفة دواء القلب

وسؤال

وسؤال منكر ونكير واهوال القيامة والموقوف بين يدي الله ومحاسبته عن جميع
ما كان منه من قول وفعل عن مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وعن سؤاله عن
الشباب فيما ابلى شبابه وعن العمر فيما افنى عمره وعن المال من اين اكتسب
وفيما انفق وعن العلم ما ذا عمل فيه وعن جميع الاعمال التي صدرت فيها
والتي كذبوا فيها فانك يا اخي ان شغلت قلبك بذلك واسكنته اياه وكان قلبك
مع ذلك شيء من صحة تركيب العقل فانه سيكل منك لعانك ولا بعد لك الخوف
اللازم مع الحزن الدائم والشغل المحيط بقلبك فان ابليس لعنه الله مجنوز عليك
في الآثام من وسوسته نفسك وخراب قلبك ❁ وخرابه اذا كان فارغا من الخوف
والحزن الدائم فحينئذ ينفث فيه بالوسوسة لامال الدنيا والتمني لها والطمع فيها والحرص
عليها والرغبة في الاكثار منها والادخار والجمع لها ومخافة فقرها مع لزوم طول
الامل قلبك واعراضه عن الله تعالى وانقطاع سواد عظمة الله منه وفراغه من
الهيبة والحياء منه فاذا وجد القلب عامرا خنس ونفر منه ولم يجد فيه مساغا لا
من جوانبه مدخلا لان القلب عامر بالخوف والاحزان والفكر فهو مستضيء
يرى العبد بنور قلبه مداخل ابليس فيرميه بالانكار لما يدعو اليه ويعتصم بالله ويقصد
به من نور قلبه فيدحره عنه فتولى الخبيث الى قلب قد فقد الخوف فخرب
واظلم فلا نور فيه فلا شيء اثقل على الخبيث من النور ولا سيما اذا وجده خنس
ونفر منه فلا يقدر عليه الا من قبل الغفلة من العبد ❁ ونور القلب انما هو مع
تيقظه وحياته فاذا غفل مات واظلم وطفي نوره فيلبس على العبد ما يدخل عليه
العدو او يقدر عليه فاختلس ابليس حينئذ من العبد واستدام القلب بالغفلة
فتسور عليه بالآثام فاذا اصر على الاقامة عليها ورضي بها غلاه الرين فاظلمه
واستقر ابليس فيه ثم سلك به سبيل الآثام الى ان يوصله ويوقعه في الكبائر

وفاتني من العجب الى ابليس من ظلمة القلب وسواده واطفا نوره وتراكب الرين
عليه وفاتني من النقل على المحجب من النور والبياض والنقا والصفا فانما ما وراه
في الظلمة والا فلا ما وراه ولا قرار في النور والبياض •• ولقد بلغني ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يكره ان يدخل البيت المظلم حتى يضاء له فيه بمصباح
فصل آخر يروى عن بعض الحكماء انه قال ان من اشرف المقامات وافضلها المراقبة
لله ومن احسن المراقبة ان يكون العبد مراقبا بالشكر للنعم والاعتراف بالتقصير
والتعرض للعفو عن الاساءة فيكون قلبه لازما لهذا المقام في كل اعماله فمتى ما شغل
رده من الاشتغال والغفلة بالمراجعة • ومن اعمال القلب التي تركوا مهملا فتستغني
عنها الاخلاص والثقة والشكر والتواضع والاستسلام والنصيحة والحب في الله تعالى
والبغض فيه • وقال اقل النصح الذي يحرج تركه ولا يسعك الا العمل به فمتى
قصرت عنه كنت مصرا على معصية الله تعالى في ترك النصيحة لعباده فاقل
ذلك ان لا تحب لاحد من الناس شيئا مما يكره الله عز وجل ولا تكره لهم ما احب الله
فهذه الحال التي وصفنا واجبة على الخلق لا يسع تركها طرفة عين بضمير ولا بفعل
جوارح • وحال اخرى فوق هذه وهي فضيلة للعبد ان يكره لهم ما كره الله
وان يحب لهم ما احب الله تعالى • قال وقال رجل لابن المبارك اوصني فقال
راقب الله فقال الرجل ما مراقبة الله فقال ان تستحيي من الله • قال آخر
والمراقبة من حيث يضيع قلبك وهوان تضيعه دون العرش فتناجي من هناك •
وفي رد القلب الى المراقبة مراجعتان احداهما مراقبة النظر مع تذكر العلم
قال تعالى انه عليم بذات الصدور وقال تعالى يعلم ما في انفسكم فاحذروه
ثم تذكر العظمة لوجود المحل وه • ومقام آخر يروى ان الله سبحانه اوحى الى ابراهيم
عليه السلام يا ابراهيم تدري لم اتخذتك خليلا قال لا يا رب قال لطول قيامك

لي ما باذن الله وما يعين على
ترك الذنوب والتضرع ه

بين يدي

بين يدي قال نعم انما كان قيامه بالقلب ليس بالصلاة وهو ابين المؤمنين
انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار • وحديث النبي صلى الله عليه وسلم اعبد الله
كانك تراه • وقول حارثة كاني انظر الى عرش ربي بارزا • وقال على الاوائل
في الدرجات ان تعبد الله على السرور بملاك ثم على التعظيم له ثم على الشكر
ثم على الخوف وآخر الاعمال التي تكون بالصبر • والصبر على وجوه تصبر وتصبر
ثم تخرج الى الخوف والشكر الى التعظيم ثم السرور • ومن اراد الزهد فليكن الكثير
مما في ايدي الناس عنده قليلا وليكن القليل عنده من دنياه كثيرا وليكن العظيم
منهم اليه من الاذى عنده صغيرا وليكن الصغير منه اليهم عنده عظيما • وقال اذا شئت
نفسك الى ما تنقطع به عن خلقك فاجعل بينك وبينها حكما من الحياء من الله تعالى
وقال ان الاكياس داد عنهم النفوس الى ان يقطعهم بحد البهائم سبيل نجاتهم
حاكموها الى الحياء من الله فانها حكم الحياء وقال مخرج الاعتذار من حسن ظن القلب
ومخرج حسن ظن القلب مع القيام لله على ما يكره من كذب النفس • وقال اصل
النصح ان تحب ان يكون الناس كلهم خيرا منك • وقال ذكر عند ابن المبارك
عابد تعبد بلا نفقة فقال ليت بيني وبينه بحرا • وقال من انقطع الى الله لم يصبر
على الناس ومن انقطع الى غير الله لم يصبر على الناس • وقال كثير من قراء القرآن
ما له ولكلام الناس • وقال انما هي ايام قلائل فما على الانسان لو وهب نفسه لله
وقال التواضع لله ذل القلب • وقال اول النعم معرفة الله ثم معرفة العلم الذي
به تؤدي فرائض الله ثم الصحة والغنا ثم العقل • وقال ليس للعبد ان يرد على
مولاه شيئا من احكامه وعليه ان يرضى بها ويرد عليه من حكم مولاه فان لم يرض
صبر فللعبد حالان حال توافق منه رضى على ما يحب وحال توافق منه صبرا على ما يكره
فصل آخر في صفة العدل والفضل بسم الله الرحمن الرحيم

يروى عن بعض الحكماء انه قال طريق الآخرة واحد والناس فيه صنفان صنف
اهل العدل وصنف اهل الفضل والعدل عدلان عدل ظاهر فيما بينك وبين
الناس وعدل باطن فيما بينك وبين الله وطريق العدل طريق الاستقامة
وطريق الفضل طريق طلب الزيادة والذي على الناس لزوم العمل بطريق
الاستقامة وليس عليهم لزوم طريق الفضل المشير والورع مع العدل وهما
واجبان والزهد والرضى مع الفضل وليسا بواجبين والانصاف مع العدل

ومن شغله العدل عن الفضل

والاحسان مع الفضل فمعتدد ومن شغله الفضل عن العدل فهو مخدوع متبع لهوى
نفسه وعلى الانسان معرفة العدل وليس عليه معرفة الفضل الا تبرعا ومن تكلف
عمل لا يجب على العبد فعله لا يجب عليه علمه • ولا يكون من اهل العدل الا بنيل
فضائل بالعلم حتى يعلم ما له مما عليه وبالفعل وبالصبر • فمفتاح العدل واوله
بالعبد واوجبه عليه ان يعرف قدر نفسه فلا يكون لها عنده قدر فوق منزلتها
وان تشبه سريرته علانيته فاكرم الناس فيه واقربهم منه ماخذا المراجع نفسه
في كل خطرة يهواها نفسه او تكرهها فينظر في ذلك ان لو اطلع عليه الناس على حالته
تلك فاستحيا او كرهها تحول من تلك الحالة الى حالة لا يستحي منها فان الذي لا يستحيا
منه ضد الذي يستحيا منه فاذا تحول واستمر فلينظر فان اشتهت نفسه ان تطلع الناس
عليه تحول منه الى ما لا تشتهيه نفسه فان الذي تشتهيه ضده فيكون ابدا في ضد ما تشتهيه •
وابعد الناس من العدل واطولهم غفلة عن هذا اشدهم تهاونا به • ولو عقلت

وابعد الناس من العدل اشدهم غفلة عن هذا واقلهم محاسبة لنفسهم

من الذي تراقب ثم تقطعت اعضاءك قطعا وانشق قلبك وسخت في الارض
لكنت بذلك محقوقا فما لم تفعل لم تجد مس الحياء والخوف في مراقبة الله تعالى
ومطالعته على ضميرك وعلمه بما تجنب على قلبك من خواطرك وقدرته المحيطة بك
ثم انك تنسى بعد ذلك كالمتهاون بتلك مراقبة من لا بد من معرفة مراقبته الى ان تنبه

من لا يطلع

من لا يطلع على سرك ولا علم له بما في ضميرك شيئا ثقلت لو اطلع الناس على
ما في قلبك لتقوى ومقتوني فمسك الحياء والخوف منهم حذرا من نقصان جاهك
وسقوط منزلتك عندهم فكنت لهم مراقبا ومنهم خائفا ومن بعضهم مشفقا ولم
تخف مقت الله تعالى وسقوط جاهك عنده ومقت الله اكبر ثم اذا عملت
شيئا من الطاعات التي تقرب الى الله زلفى فان هم اطلعوا عليها عقدت
بقلبك حب حمدهم على ذلك واحببت الثناء والمنزلة عندهم بذلك وان
كان شيئا يتقرب به الى الله من طاعته تعقد ضميرا اكتساب خوارج فكان
ذلك سترا احببت ان يطلعوا عليه ليحمدوك ويعظموك به جاهك فلم تقنع باطلاع
الله عز وجل ولا بثوابه في عمل السر ولا عمل العلانية واستوجبت من الله المقت
على ذلك وسقوط الجاه عنده ثم مضت ايامك على هذا دائب فانع بكل
راض به غافل متماد مغتر مخدوع وكانت هذه الحالة عندك احسن احوالك
واحزم امورك ولو استغنيت بالله وحده وباطلاعه وبجزيل ثوابه لاهل طاعته
ومحبته لهم وتوفيقه لهم وتسديده اياهم ومراقبته لاغناك ذلك عن من
لا يملك لك ولا لنفسه ضرا ولا نفعا وقد رضي منك بذلك ولتنبك تتضبط
فاولى الفضائل بك وانفعها لك ان تكون نفسك عندك دون قدرها
وان تكون سريرتك افضل من علانيتك وان تبدل للناس حقوقهم ولا تاخذ
منهم حقك وتتجاوز عما يكون منهم وتنصفهم من نفسك ولا تطلب الانصاف
منهم وانما هو التطهير ثم العمل والتطهير اولى بناء من العمل والتطهير هو الانتقال عن الشر
الى الاساس الذي يبنى عليه الخير وقد يمكن ان يسقط البناء ويبقى الاساس ولا يمكن
ان يسقط الاساس ويبقى البناء ومن لم يتطهر قبل العمل فان الشر يمنع العبد من منفعة
الخير فترك الشر اولى بالعبد ثم يطلب الخير بعد والنفس تحرج من التطهير • وتغر

الى اعمال الطاعات لتشغل التطهير عليها وخفة العمل بالطاعات بلا طهارة
فاذا كانت الطهارة راحت فتقدمه امام العمل بالطاعات بعد خفته عليها لمكان
الطهارة فتعالى الحاجة الى معرفة الاسباب التي تطلب منها الخير وتوصل الى الله
فالحاجة الى ذلك شديدة فمن كانت له عناية بنفسه وخاف عليها التلف
طلب لطائف الاسباب بحقائق الفطن وغايص الفهم حتى يصل اليها فاذا
وصل اليها تمسك بها وعمل عليها لان المعرفة لآفات العمل قبل العمل ومعرفة
الطريق قبل سلوكه وحاجة العبد الى معرفة نفسه وهواه وعدوه ومعرفة رب
الشر اشد ان كان كيسا وهو الى ذلك افقر ان كان فطنا معتنيا بنفسه لانه
ليس العمل بكل الخير يلزم العبد والشر كله لازم للعبد تركه ومن ترك الشر وقع في
الخير وليس كل من عمل بالخير كان من اهله ومعرفة العبد للشر فيه علم الخير والشر
وليس في معرفة الخير العلمان جميعا لان كل من تميز الخير من الشر فعله واعتزله
فكل ما بقي بعد ذلك فهو خير كله وقد يمكن ان يعلم الخير ولا يحسن يميز ما فيه من
الشر من الآفات التي تفسده وتبطله لان الخير مشوب ممازج بالشر والشر شر كله
وقد اضل العدو الخبيث عن الله كثيرا من الخلق بالخير واضل كثيرا منهم بالشر
وانما اضل من اضل بالخير لقلة معرفتهم بما يمازج الخير من الشر فجهلوا معرفة
ذلك وحسبتهم انفسهم انهم على خير وهدى وطريق محبته وسبيل واستقامة
وهم ضالون عن الله عادلون عن طريق محبته وسبيل الاستقامة اليه وانما
ذلك من كثرة الآفات التي تلحق الاعمال وقلة علم العمال بها فانا لله وانا اليه
راجعون • ما اغفل الناس عن انفسهم وعن اهوائهم وعن عدوهم فنعوذ
بالله من الغفلة والسهو والنسيان الذي يردي ويفسد الاعمال باسمائها
وبالحري ان تدرك الشر يكون تركه له على قدر ما يعرف وما يخاف من ضرره

وهو قائم

وهو قائم بفرض تقرب اقامته الى الله زلفى وطالب الخير يكون طلبه له
على قدر ما يرجو ويعرف من منفعته وان العلم شيء والعمل شيء والمنفعة شيء فربما
كان علم ولم يكن به صاحبه عاملا وربما كان علم وعمل ولم يكن منفعة وربما
كان علم وعمل ومنفعة ثم يكون بعد ذلك بطلان واحباط وربما علم العبد
وعمل وانتفع وسلم وتم •• فطالب الخير لا يستغنى عن خمس خصال سوى ما يحتاج
فيه الى علم حدود الاعمال واحكامها واداها الى الله مخلصة مشوبة بالصدق
كما امر وفرض وسن في الاوقات التي امر وفرض • وصاحب الخير العامل

في معرفة الصواب

لا يستغني عن الصدق والصواب والشكر والرجاء والخوف • فاما الصواب
فالسنة والسنة ليس بكثرة الصلاة تدرك ولا بكثرة الصيام والصدقة ولا بالعقل
ولا بالفهم ولا بغرائب الحكمة ولا بالبلاغة والموعظة ولكن بالاتباع والاستسلام
لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والائمة الراشدين المهديين
من بعده وليس شيء اشد نقمة ولا اكثر حذرا على السنة من العقل والفهم فمن اراد

في معرفة الصدق

ان يسلك سبيل السنة بالعقل والفهم خالفها واخذ في غير طريقها • واما الصدق
ففي اربعة اشياء يعمل العمل ثم لا يريد على ذلك جزاء ولا شكورا الا من الله تعالى
ولا يبطله بالمن والاذى ومنه صدق اللسان في الحديث وقد يصدق في

في معرفة الشكر

حالة بلسانه وهو عاص لله تعالى في صدقه وهو المغتاب والنمام • واما
الشكر فمعرفة البلوى فاذا عرف ان كل نعمة فهي من الله لا من غيره وانما هي تبرك
بالخير بها شكرا والكفر وكل سوء صرف عن العبد فالله تعالى صرفه ليشكره عبده
او يكفره فهذا من الشكر فاذا عرف العبد هذا انه من الله وعده من نعمه عليه ولم
يدخل معه فيه احدا لنفسه ولا غيرها فقد شكره فالشكر متفاوت والناس فيه
متباينون متصاعدون وهذا ادناه واما اعلاه فلا يبلغه احد وليس له حد •

ومنها ايضا وهو يشبه ما وصفنا الا انه اصل الشكر ان يعرف العبد ان ما به من نعمة
فمن الله بمجموع علم يقين لا تخالطه الشكوك فاذا عرف ذلك بقلبه ذكره بلسانه
فحمده عليه ثم لم يستعن بشيء من نعم المنعم على شيء مما يكره المنعم واعلى من ذلك
ان الشكر لله عنده كل بلاء ينزل به نعمة لان عنده من البلاء ما قد انزله بغيره اشد
واعظم من ذلك الذي نزل به والناس محتاجون عند ذلك الى الصبر وهو قائم
في صفة الرجاء
بالشكر • واما الرجاء فهو ان يرجو قبول العمل وجزيل الثواب عليه حتى يهيج ذلك
الرجاء رغبتك فتعمل عمل الانكماش وانت ترجو القبول والثواب وتخاف مع
رجائك ان يرد عليك عملك ويكون قد دخلته آفة افسدته عليك • والراجون
ثلثة رجل عمل حسنة وهو صادق في عملها مخلص فيها يريد الله بها ويطلب ثوابه
فهو يرجو قبولها وثوابها ومعه الاشفاق فيها ورجل عمل سيئة ثم تاب الى الله
منها فهو يرجو قبول توبته وثوابها ويرجو العفو عنها والمغفرة ومعه الاشفاق ان
لا يعاقبه عليها فهذان رجاؤهما رجاء صادق • واما الثالث فهو الرجل يتمادى
في الذنوب وما لا يحبه لنفسه ولا يحب ان يلقى الله به ويرجو المغفرة من غير
توبة وهو مع ذلك غير تائب منه ولا مقلع عنه وهو مع ذلك يرجو وهذا يقال
له مغتر متعلق بالرجاء الكاذب والطمع الكاذب والاماني الكاذبة والقيام
على هذا يقطع مواد عظمة الله من قلب العبد ويدوم اعراضه عنه ويانس بجانب
في الخوف
مكر الله ويامن تعجيل عقوبته وهذا المغتر المخدوع المستدرج •• واما الخائف من الناس
ينبغي ان يكون الخوف اكثر من الرجاء عنده لان الرجاء الصادق انما يكون
على قدر العمل بالطاعات والخوف يكون على قدر الذنوب فلو كان الرجاء
يستقيم بلا عمل لكان المسيء والمحسن في الرجاء سواء وقد قال الله تعالى ان الذين
امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله •

وقال

وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين • ومعنى الحديث الذي جاء لو وزن رجاء
المؤمن وخوفه لاعتدلا ينبغي ان يكون خائفا بين اهله وهو مثل الحديث الآخر
المؤمن كذي قلبين قلب يرجو به وقلب يخاف به فانما هو اذا احسن رجا
واذا اساء خاف مع التوبة والندم والاقلاع فاما من عرف نفسه بكثرة الاساءة
فينبغي له ان يكون خوفه على قدر ذلك ورجاؤه على قدر ما يعرف من نفسه
من الاحسان ولان الرجاء على قدر الطلب والخوف على قدر الهرب واعلم
في البلوى والاختبار
وافهم ان الدنيا كلها قليلها وكثيرها حلوها ومرها اولها وآخرها وكل شيء من
امرها بلوى من الله تعالى للعباد واختبار وبلواها وان كثرت وتشعبت واختلفت
فهو كله مجموع في خلتين في الشكر والصبر فاما ان يشكر نعمة او يصبر على مصيبة
قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقال
ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض وقال ورفع بعضكم فوق
بعض درجات ليبلوكم فيما اتاكم وقال خلق السموات والارض في ستة
ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا • وقال وجعلنا بعضكم لبعض
فتنة اتصبرون وقال ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو
اخباركم • واكثر من ذلك في كتاب الله تعالى وانما كان بلوى آدم عليه السلام
اقل من آية في كتاب الله تعالى لا تقربا هذه الشجرة وهو كله لك بلوى وان
اكثر ما يبلى به العبد من اهل الدنيا الناس وافتن الناس لك واكثر تشغلك انما
هو بمعارفك منهم واشغل معارفك لك واكثرهم عليك فتنة من انت بين
ظهرانيهم ينظرون اليك وتنظر اليهم ويكلمونك وتكلمهم فانك من لم
يعرفك من اهل زمانك ولم تعرفه ولم تسمع به كانك لم تبتل بهم وكانهم لم
يبتلوا بك وكانهم لم يكونوا في هذه الدنيا التي انت فيها فارجع في صبرك

الى الله واستعين به وانقطع اليه واستانس بذكره واقلل من مخالطتها لما انقطعت
بل اترك الفضول منها فتسلم لقول الله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون
وكان ربك بصيرا فاهرب من الفتنة • فرجع بصبرك الى معارفك ومن انت
بين ظهرانيهم فنظرك اليهم ونظرهم اليك فتنة وكلامك معهم وكلامهم
معك فتنة وحبك لهم وحبهم لك فتنة لك واكرامهم لك واكرامك لهم
فتنة لك اعظم ذلك بموضع تمر فيه معارف وموضع تمر فيه ليس فيه احد يعرفك
وهكذا شهوات المطعم والملبس • وشهوات العين ما يحل النظر اليه وما لا يحل النظر اليه
مما كان من ذلك في غير البلد والبلدة التي انت فيها فانت منها سليم وفتنتها
مصروفة عنك ان شاء الله لان مؤنتها ساقطة وهكذا انت في جميع اعمالك
وعملك الذي تعمل انما هو فتنة انت فيها تريد ان توفا فيها اعين الادميين واكرامهم
من يعرفك بالخير فاعمالك لك فتنة ان محبت تلك فانيا ليس يعلم يعرفك
بالخير دنفره كان اسلم لك والا فهي فتنة فانظر كيف تسلم منها وان خرجت
من بلدة انت فيها معروف بالخير فخرجت منها وهم لا يعلمون اين تريد فهو اسلم
لك وان علموا فهي فتنة فانظر كيف تسلم منها وكذلك الغزو وبلوى اهل الغزو
تنوبهم في مغازيهم من الفتنة والبلية اعظم من بلية غيرهم واعظم من الذين
يعملون باعمال البر وهم قبل ان يدخلوا في هذه الاشياء في عافية فاذا
دخلوا فيها جاءت الفتنة من التحاسد بعضهم لبعض وطمعهم فيما يرجون من السهام
وطمعهم في النفلات وما يجعل الناس في سبيل الغزو ولقد سمعت رجلا من المذكورين
من اهل الغزو وممن له غناء عند لقاء العدو واسم عظيم في المطوعة يقول لحنين
قد خرجت ولم يقض له الخروج فيها اما السلامة فاحب ان يسلموا ولكني اكره
ان يغنموا وليس انا فيهم • ولقد رايت من يغار على بعض ما يقوى به بعض

الغزاة حيث لم يعط هو واعطي غيره كما يغار الرجل على بعض حرمه ولقد
رايت من غزا ولم يغنم وود انه لم يكن غزا • ولا يؤمن ما اخفي على كل من
دخل في عمل من اعمال الدنيا والاخرة جميعا اذا لحقتهم في عملهم الافات
التي تفسد الاعمال وان يدخل عليهم الشيطان فيها من العيوب والفتن
مثل هذا واكثر من هذا فليحذر الرجل على كل عمل يعمله من اعمال الدنيا والاخرة
وليراقب الله فيه وتعاهده بضمير خالص وليحذر اطلاع الله على فساد
ضميره وليحذر اطلاع المخلوقين على عمله فان كان يحب ان يكرم من هذا
الغازي وهذا الحاج وهذا المعتمر وهذا المصلي وهذا الصائم وهذا المتصدق
وهذا الغازي يكره ان ينال المسلمون من غنائم الروم والجالس ببغداد في
بيته يحب ان ينالوا منهم • فاحذر رحمك الله من قرب منك ومن قربت منه
فان الذين بعدوا منك وبعدت منهم سلموا منك وسلمت منهم يود اقوام
غدا انهم لم يكونوا سمعوا بان لهم كثيرا من اعمالهم التي هي في راي العين رجا
لصاحبها عليها الثواب الجزيل والدرجات الرفيعة ويغبطون من لم يكن عمل
مثل ما عملوا لكثير من حسناتهم وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون نقال انها
اعمال عملوها من اعمال البر كانوا يرون انها هي منجيتهم فكانت هي مهلكتهم
لما مازجها من الريا وحب محمدة المخلوقين واتخاذ المنازل بالطاعات
واقامة الجاه وحب القدر والميل الى ثواب المخلوقين فلما وردوا على الله
عز وجل وجدوه قد احبط اعمالهم وهم لا يشعرون لانهم كانوا تعجلوا
ثواب اعمالهم في الدنيا من المخلوقين فافتضحوا وفضيحة ما هناك بما فيه ولم
يجدوا من ثواب اعمالهم الا كما وجد صاحب السراب وصاحب الرماد
فليس احسن الاعمال براد وتزيين ظاهرها ولكن تقوى الله وما يقرب اليه

زلفى فليث بين العبد وبين كل عمل يتباعد من تقوى الله ومن بعد بعد
المتقين ۞ قال لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن
ايمانهم وعن شمائلهم فلو لم يبن في الكتاب من صفات ابليس الا هذا لقد كان
ينبغي للعاقل ان يحذره ۞ ولو نظرت في اكثر الناس لوجدت اكثرهم
انما يؤتى من قبل البر وقلة العناية بتصفية العمل وما قد استحلت النفس من
حب محمدة المخلوقين وقد يؤتى قوم كثير من قبل الاثام الا ان علامة الفتنة في
الناس جميعا مختلفة واكثر الناس انما يعرفون من قد فتن بالاثام ولا يعرفون
من قد فتن بالبر الا القليل من الناس من اهل النور والفطن والفراسة والتوسم
والكياسة وذلك ان الذي يعمل باعمال البر وهو يحب فتنتها اكثر من الذي
يخاف فتنتها والذي يجهل فتنتها اكثر من الذي يعلم فتنتها ۞ ومن الناس
من يعلم فتن الاعمال وابطالها ثم تغلبه الهوى ومنهم من يعلم ويقل عنايته
فيغفل ۞ واعلم ان الذي يعمل وقد علم الافات التي تفسد الاعمال ومعه العناية
بنفسه وعمله ومعه التيقظ وازالة الغفلة وهو مع ذلك مشفق خائف
من الافات ما يكاد يسلم الا من عصم الله تعالى فكيف الذي يجهل ويغفل
وتغلبه الهوى ويحب دخول الافة وقد طلبت الدنيا في زماننا خاصة بكل
جهة بالبر والاثم جميعا افتتانا فاحذر فتنة البر والاثم جميعا لا ينزل بك ما نزل
بغيرك في الترك والطلب فلتكن همتك في النظر في مرآة الفكر كالهمة بالعمل
واكثر من ذلك فانه ليس شهوات الذنوب والشبهات وشهوات المطاعم
والمشارب والملابس والبناء والمراكب والمناكح والذهب والفضة باغلب
على اصحابها من شهوات الجاه وحب الرياسة واقامة القدر واتخاذ المنزلة ونفاذ
الامر والنهي وقضاء الحوائج وحب العدالة عند الجيران والاصحاب والاخوان

والمدحة على اصحاب البر في حسناتهم وقد يجد الرجل يغلب شهوة الذنوب
فيترك الذنب ويصير الى اعمال البر فيضعف عند تصفيتها وتغلبه شهوة
ما فيها فيعمل حسنات كثيرة بقوة واقتدار عليها وظما شديد وسهر ولا يقدر
على ان يغلب شهوته على تصفيتها فانا لله وانا اليه راجعون ما قد نزل بنا
وما اعظم خطرنا وما اغفلنا عن عظيم الخطر واعلم اني لست احذرك في طلب
اعمال البر لان كل عمل لا تصلحه اليوم لا تجد ثوابه غدا ولكني احذرك خدع الشيطان
وهوى نفسك الامارة بالسوء وفضل القران على سائر الكلام كفضل الله على
خلقه وقد قال الله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم ۞ وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا
من اصحاب السعير ۞ وقال ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور
رحيم ۞ وقال وكذلك سولت لي نفسي ۞ وقال فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله
فاصبح من الخاسرين ۞ وقال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل ۞ وقال ولقد خلقنا
الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ۞ وقال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله
وقال ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين
وقال واتبع هواه وكان امره فرطا ۞ وقال وكذبوا واتبعوا اهواءهم مع اشباه
في القران كثيرة في ذكر عداوة ابليس وذم النفس والهوى قلت اني ارى
من الناس اشياء يعاب مثلها واحب ان اسلم من التعيير والازراء والعيب
فلا ادري اسلمت منه في نفسي ام لا فقال ان الانسان عند معرفة عيب نفسه
ابله وهو عند معرفة عيب غيره جهبذ فلا يحتقر عيب اهل كل صناعة واهل كل عمل
من اعمال الدنيا والاخرة ولا يحتقر عيب من هو في مثل مرتبته ويستعظم ذلك
من كل من رآه منه فاذا اتى على عيب نفسه جازه الى عيوبهم كانه عمي عنه لم يره

يطلب العذر لنفسه ولا يطلبه لغيره فهو في طلب عذرها جهيد وفي طلب
عذر غيرها ابله وهو يعظم عند ذلك لصاحبه ما يكره ان يعظم له غيره لو رأى
منه مثل ذلك العيب • فاذا رأيت عيبا او زلة او عثرة من غيرك فاجعل نفسك
مكانه ثم انظر الذي كنت تحب ان يستقبلك به لو رأى منك مثل الذي رأيت
منه واضمر ذلك له في نفسك فانه يحب منك مثل ما كنت تحب منه وهكذا اذا
رأيت ما تستحسن فاردت ان تعرف علم السلامة من الحسد له وبالحري ان يكون
اخف الناس عليك عند الزلة من يطلب لزلتك عذرا ومخرجا فاذا لم تجد
للعذر موضعا ستر ذلك واخفى مكانه وعند حسنك ينشر فان لم يستر لم يسؤه
فهكذا فكن لهم عند الزلة وعند الحسنة فاذا كنت كذلك فلا تحب زوال نعم انعمها
الله على احد في دين ولا دنيا ولا تحب ان يقسم احد على معصية الله تعالى ولا تحب
ان تهتك ستره عند زلته فانك اذا فعلت ذلك نقلبك زال عن قلبك
الحسد عن الدين والدنيا جميعا • ومتى غلبت عليك السابقة الى ضميرك بسوء
المحضر فلا تغلبن على مشاهدته بحسن المراجعة في جميع امورك واعلم انك مسبوق
الى ضميرك بالحسد وسوء الظن والحقد فاجعل المراجعة شغلا لازما وكن وقافا
كما قال الاول المؤمن وقاف وليس كحاطب ليل فقف وطالع زوايا ضميرك
بعين حديدة النظر نافذة البصر فاذا رأيت امرا محمودا فاحمد الله وامض واذا
رأيت مكروها فاركه بحسن المراجعة واستقصيت فيه فان الذي دخل بيتك لم
يستاذنك سوف يخشى فيه وان كان مظلما فانت لا تشعر الا ان يكون معك
سراج من العلم مضيء واضح ويكون معك من العناية باخذه والانكار لما دخل
فيه ما لا صبر له عليه ولا طاقة له به ولو قد جربت لعرفت ان الذي اقول
لك كما اقول يدخل داخل منزلك بغير اذنك وهو داخل لا يؤمن على ان يخرب

الدخول عليه فان رأى الداخل منك تواتيا وتهاونا كان هو المقيم بالمنزل
المدبر له فاستولى على خزائنك وعلى حرمك وان رأى منك انكارا فيه
ضعفا حقق لك بلبس سهوك وغفلتك فاذا وجد فرصة خرب عليك
ما كنت اصلحت وهدم ما بنيت فافهم ان كنت تفهم واقبل من الناصح
ان كنت تقبل فلو رحلت فيما اخذت المطايا بلغت حيث بلغ من البعد
وانفقت في ذلك خزائنك كان الذي اخذت اكثر من الذي انفقت وتعبت
فانك تجد الخير الكثير في ميزانك يوم القيامة بصدق المراجعة ومبادرتها قبل
ان تبرد عنك حلاوتها فانها موهبة عظيمة من مواهب الله الذي اكرم بها
اهل خاصته وعظم النعمة عليهم فيها فان عظم النعمة على قدر الحاجة فانظر هل
راجعت امرك الا وقد وجدت فيه موضع قربة ومصلحة او وجدته مفسودا
بعينه فلو لم تحفه بالمراجعة لكان ذاهبا الى يوم القيامة واعلم انما اكثر عليك
وعلى نفسي من ذكرها لما قد استبان لي من الاضطرار والحاجة الى المراجعة فلو قد تعلقت
بشيء من خير فيها ليكون ونسبتها والا فلا وما تركها الا كالمستانس لعدوه
ويسلم نفسه اليهم فيهلك وانت لا تشعر وان كنت متهاونا بما اقول لك فان اكثر
ما جنيك اليه في صلاة الفريضة ثم بعدها هلم جرا في جميع امورك ولو كنت
ممن يتفقد امره لعلمت ما دخل عليك من الندامة والحسرة حيث فارقتك
المراجعة في صلاة الفريضة فلم تدر ما قرأ امامك ولم تدر اني فرض كنت ام
في نافلة ام في صلاة كنت ام في غيرها وانت في راي العين ممن يناجي به
قد اصغيت باذنيك الى امامك وتخشعت بوقوفك وفرغت قلبك لاستماع
ما يقرأ عليك امامك من كلام ربك في صلاة فريضتك التي ليس شيء اوجب
عليك منها فرجعت منها وقد ظهر منك ما وصفنا وانت لكن لم تشهد لها الفقه

ضبطك بالمراجعة لنفسك فيها ولعل الذي حضرت منها بقلبك وعقلته
فلم تنسه عنه لو قيل لك اتحب ان يكون ذلك منك كما كنت ساهيا لك
مائة الف دينار لقلت لا فاغتنم الآن تعاهد المراجعة على قدر ما عرفت
من حاجتك اليها فانك من عمرك تتفقدك وتتفقدك مراجعة ما فيه منفعتك من ذلك
والمصير اليه بالعقل وما سوى ذلك غفلة وسهو يؤديان الى شهوة فيها غليان
قلبك وفي ذلك موافقة نفسك الامارة بالسوء والهوى المضل عن سبيل الله
العادل باهله عن طريق محبة الله وفي ذلك توثب العدو الخبيث الذي
لا يالوك خبالا الذي يجري منك مجرى الدم الذي يراك هو وقبيله من
حيث لا تراهم • قال مالك بن دينار قلوب الابرار تغلي باعمال البر
وقلوب الفجار تغلي باعمال الفجور فتعاهد امرك بالمراجعة فان رايت مكروها
اصلحته وتحولت عنه وان رايت غير ذلك حمدت الله وكانت عنايتك
بذلك زيادة لك وقربة واذا رايت لك عناية بالمراجعة فاعلم انها نعمة وقربة
من اعظم نعم الله واحق من استدامه مصاحبة نعم الله التي هي مفتاح خزائنها
رحمة الله فالتمس الزيادة منها بمخالفتها فان في مخالفتها موافقة مرضات الله
قلت فمن اهل الارادة قال من لم يحفظ عيبا ولا عورة الى نائبة قلت فما حفظ
اللسان قال الصمت قلت فما الاحتياط في التحفظ عند الكلام قال تترك ذكر
عيب من غيرك ترجو على ذكره الثواب (ذكر تركه) لكيلا يخرجك ذلك الى ذكر عيب
من غيرك تخاف على ذكره العقاب وخذ نفسك بهذا الباب اشد الاخذ
واحمل عليه من الناس من استرشدك واراد مثل الذي تريد فان العبد اكثر
ما يؤتى منه من التهاون باليسير وهو الذي يوقع في الاثم الكبير والتهاون
باليسير هو الاساس الذي يبنى عليه الكثير فيكون اوله كان يحفظ ثم صار [illegible]

يؤديان لها

بالشكر عليها واحق من استدام صحبة نفسك
الامارة بالسوء والاماة البهام

في صفة حفظ اللسان

ثم صار بالانبساط الى ذكر اليسير ثم صار من اليسير الى ما هو اكثر منه فلا تستغرقن
من نفسك حيث كنت تكره ان ترى من غيرك نقض ذلك اليسير وترك اليسير والكثير
واقوى الناس على ذلك واصدقهم عزما هو الذي اذا عزم مضى عزمه لم
يلو واضعف الناس في ذلك اضعفهم عزما وهو الذي يعزم ثم يحل عزمه
ولا يكاد يمضي عزما فهذا الذي يتلاعب به العدو والهوى والنفس ليس له
عندهم قدر لكثرة معرفتهم بتناقض عزمه وقلة استقلاله لها • واذكر لكم
من الناس فاضل يخلق من كل طبقة قلت من ارجى الناس لقبول التوبة منهم قال
اشدهم خوفا واشدهم ندامة على ما كان منه وما سلف وما شاهده الله واطلع
عليه من زلله وخطاه وطول غفلته ودوام اعراضه واحسنهم تحفظا فيما يستقبل
واذا استووا في ذلك فاشدهم اجتهادا في العمل لان علامة صدق الندم على ما سلف
من الذنوب فيما مضى شدة التحفظ فيما بقي من العمر ومواظبة الطاعة بالجد والاجتهاد
واستقلال كثير الطاعة واستكثار قليل النعم مع رقة القلب وصفاه وطهارته
ودوام الحزن فيه وكثرة البكا والتفويض الى الله في جميع الامور والتبري اليه من
الحول والقوة ثم الصبر بعد ذلك على احكام الله عز وجل والرضى عنه في جميعها
والتسليم لاموره كلها • وقال لي قد علمت من اين غلطت احسنت الظن بنفسك
فتاقت الى درجات المحسنين بخلاف سيرتهم من غير انكار منك عليها لمساوي
اعمالها ولا دفع لما ادعته من اعمال الصادقين واسات الظن بغيرك ظانا انهم
في درجة المسيئين اعفاء منك شانك تفرغت للنظر في عيوب غيرك فلما كان
ذلك منك كذلك عوقبت بان غارت عيون الرحمة والرافة من قلبك وانفجرت
اليه انهار الغلظة والقسوة فاوجبت ان تنظر الى الناس بالازراء عليهم والاحتقار
لهم وقلة الرحمة واردت ان تنظر اليك بالتعظيم والمهابة والرحمة لمن [illegible]

في التوبة

في حسن الظن بالنفس

على ذلك منهم نال منك قرباً ومحبة وبقيت انت من الله تعالى بعداً وسخطة
ومن خالفك فيه ازداد منك بعداً وبغضاً وازددت انت من الله بعداً
وسخطة اذا طلبت في ذلك كله املاك فطاب لك المسير في طريق التسويف
وتدارج الخيرات فاشتدت رغبة نفسك واستمكن الحرص من قلبك فعظمت
لذلك في الدنيا رغبتك وشحت وجمحت الى شهواتها واحتوشت قلبك
لذاتها فحال ذلك بينك وبين ان تجد حلاوة سلوك طريق الآخرة فقلبك
حيران على سبيل حيرة قد اشتبهت عليك سبل النجاة وعلى قدر ما ورد على قلبك
من ذلك رق منك جلباب الحيا وشقق حجاب الذنوب فانست لقربها
لك ثم ركبتها فوصلت بذلك الى محض المعصية فادعيت ما ليس لك وتناولت
ما بعد مرامه منك ثم اخرجك ذلك الى ان تحلمت لغير الله ونظرت
الى ما ليس لك وعملت لغير الله تعالى فكنت مخدوعاً مستدرجاً عند حسن
ظنك بنفسك وانت لا تشعر ومستدرجاً من حيث لا تعلم فكان ميراث عملك
الحب والجبرية والغش والخديعة والخيانة والمداهنة والمكر وترك النصيحة وانت
في ذلك كله مظهر لمباينة ذلك • فمن كانت هذه سيرته فلا ينكر ان يبدو له
من الله ما لم يكن يحتسب فلو كان لك يا مسكين ادنى تخوف لبكيت على نفسك
بكاء الثكلى المحبة لمن اثكلت ونحت عليها نياحة المولى حين غشيك شوم
الذنوب ولو بكا عليك اهل السموات واهل الارض لكنت مستوجباً لذلك
لعظيم مصيبتك ولو عزاك عليها جميع الخلق تعزية المحزون المسلوب لكنت مستحقاً
لذلك لانك قد حرمت دينك وسلبت معرفتك بشوم الذنوب فركبك
ذل المعصية واثبت اسمك في ديوان العاصين واستوحش منك اهل التقوى
الا من كان في مثل حالك فاخذ الذين ارادوا الله وحده في طريق محبته وسلكوا

سبل النجاة واخذت في غير طريقهم حين خالفت سبيلهم الى غيره
فبقيت متحيراً وعن وجه الاصابة متبلداً ومثل هذه الاسباب التي قد
اشتملت عليها طريقتك تستدل على خسران القيمة وبالله نعوذ واياه
نسئل عفواً وتقرباً منه مع المحسنين انه لطيف خبير **فصل** قلت اما
تخاف ان تكون هذه المعرفة حجة عليك والعناية والاشتغال بوصفها
خدعة من الشيطان ومشغلة وصداً عن منفعتها فقال واسوتاه من غفلة واضيعها
من محاسنها ومن رامها فلم يحظ حيث اراد فاما الانس المحرم واما الخوف
تفرض على من يؤمن بالله واليوم الآخر بالوعد والوعيد وقد علمت ان
القصد الى نفس المحبة والعناية بها ابلغ لصاحبها واكثر له في المنفعة منه بوصف
المحبة لان طلب نفس المنفعة غير طلب وصف المنفعة وانما اشتغلت بالوصف
اضطراراً حيث رايت نفسي خارجة منها جميعاً فاعتنيت بمعرفة وصفها
والهداية اليها رجاء ان يوصلني ذلك الى نفس المنفعة والهداية اليها والله
المستعان على ما تقول وعلى ما نخشى فان العبد بين تسع مخاوف فاولاها
ان يخاف ويدعو الله ويتضرع اليه ان لا يكله الى حسناته التي تعززبها لعباد
الله ظلماً وعدواناً • والثانية ان يخاف من كفران نعم الله التي قد غلب عليه
البطر بها فاشغله عن الشكر عليها • والثالثة خوف الاستدراج بالنعم وتواترها •
والرابعة خوف ان يبدو له غداً من الله ما لم يكن يحتسب في طاعته التي يرجو
ثوابها ولم يعدها من ذنوبه • والخامسة الذنوب التي عملها واستيقن بها فيما
بينه وبين الله • والسادسة تبعات الناس قبله • والسابعة انه لا يدري
ما يحدث له في بقية عمره • والثامنة ان يخاف تعجيل العقوبة في الدنيا
والنكال فيها قبل الموت • والتاسعة الخوف من علم الله تعالى فيه وفي اي

الدارين اثبت اسمه في ام الكتاب • فاحذر الذنوب فان شومها قريب
وظلمتها شديدة واحذر الحسنات التي تباعدك من طريق الصالحين فما اقرب
القارئ المتعبد بغير معرفة الى ان يتكبر على عباد الله عز وجل ويمتن على الله
سبحانه بالحسنات التي لو وكله اليها كان فيها هلاكه وما اقربه من ان يطلب
الناس بما اراده الله منهم من الطاعة له والاجلال والاعظام والقدر العظيم
ولا يومن على القارئ بغير الفقه ان يسبي اليهم ويطلب منهم الاقرار بالاجلال
والتعظيم من نفسه ما اراده الله منه ان الله تعالى اراد منه ان يتبرى له ويتعبد
له ويخلص له العمل وحده فاعطاه هو للمخلوقين ذلك من نفسه ⁂ قلت الرجل يقول في الذم والمدح
انه ممن لا يريد بعمله جزاء ولا شكورا وهو معروف باعمال البر بالصلاة والصدقة
والصيام وغير ذلك وقد مدحه قوم فسره ذلك جدا وفرح به وذمه اخرون
فساءه ذلك جدا وكرهه حتى عرف من نفسه التغير لكلي الفريقين جميعا كيف
يعرف هذا نيته وحب المحمدة وكراهية المذمة ثابت في قلبه والمرائي يحب الثناء
ويكره المذمة قال انه لا يجب على الناس ان يكرهوا الثناء الحسن والمحمدة ولا يجب عليهم
حب المذمة ويعملوا الحسنات ولم يتعلوا اذا لم يكن ذلك منهم من معنى فاسد لان
المرائي وان كان يريد على ان يحب المحمدة ويكره المذمة فان الصادق لا يجب
عليه ان يكره الثناء وان يحب المذمة وان اكثر الصادقين قد مدحوا واثني عليهم
ولم يضرهم ذلك شيئا وانما الفرق فيما بينهما ان المرائي ارادته وامله في
عمله جاه الدنيا والمنزلة عند اهلها فافسد عمله بنيته وارادته نال الذي اراد من
ذلك او لم ينله احمدوه على عمله او لم يحمدوه او ذموه او لم يذموه وغير المرائي
انما كره المذمة والثناء السيء لحال ما جاء فيه من الكراهية مثل السقوط من اعين
الناس والبغضة والمقت من المومنين واشباه ذلك والثناء الحسن والقول الجميل

ابلس

احبه لموضع ستر الله وما جاء من الرجا في الثناء الحسن والقول الجميل والمحبة من
الناس وسود منهم له وكان عقدا نيته وعزمه في اول مره واخره لا يريد
بذلك الا وجه الله والدار الاخرة حمدوه او ذموه او احسنوا به او ابغضوه وربما كان
اعتقاد الرجل عند عمله ارادته الاخرة ثم ينتقل قليلا قليلا الى ارادة الدنيا
وذلك انه شي خفي والعادة تنقل صاحبها به وعامتهم بذلك ويكثر غفلتهم
وسهوهم عنه وقد كان ينبغي ان تكون عناية المومن بذلك اكثر من عنايته
بما يعمل من الاعمال الظاهرة لان اعمال الجوارح لا يملكه ان يقلبها ولا يغيرها عن
حالاتها والنية لا يامن عليها الفساد وان كانت صادقة صحيحة ان تحول
من احسن ما كانت عليه الى اقبح ما تكون عليه وافسدها بعمل صاحبها
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنية • وانما لامرئ ما نوى فالاعمال
بالنية تكون وعن النية تكون فالعبد احوج الى معرفة النية ومعرفة فسادها
اذ كانت الاعمال انما تصح بصحيحها وتفسد بفسادها وان جميع ما يذكره انما هو
وصف للعمل والحقيقة والصحة علامات ودلالات غير هذا وان الاعمال كلها
عملان عمل يكون فيه النية وعمل لا يكون فيه النية فالذي لا يكون فيه النية العمل
لغير طاعة الله او على غير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يكون
فيه النية عمل في طاعة الله على السبيل والسنة والناس فيه صنفان صنف
يعرفون النية وصنف لا يعرفون النية والذين يعرفونها صنفان صنف
تقنعهم النظر فيها بالجزاف والاماني وصنف لا يامنون انفسهم عليها
ولا يعقلون الا ما يصح لهم من ذلك عند الميزان وهو المحنة محنة نفسك
ومن الناس من يرى انه يكره المحمدة والثناء اشفاقا على عمله وخوفا من فتنته
ولا يعبا بما يخيل اليه من ذلك ويظن لان اكثر ما يظن الناس من ذلك ليس

كما يظن حتى ينظر الى تحقيق صدقه عند البيان فليرجع نفسه اذا اثني عليه او مدح
او ذم بسوء او نسبوه الى ما يكره فان كان ما اعجبه من الثناء والمدحة انما اعجبه لمعنى
ما فسرنا من السرور والرجاء في الثناء الجميل والقول الحسن الجميل مثل قوله تعالى والقيت
عليك محبة مني واتيناه اجره في الدنيا قال الثناء وقوله وآتيناه في الدنيا حسنة قال الثناء
الحسن وقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين قال الثناء الحسن • وقال النبي
صلى الله عليه وسلم في الرجل يعمل العمل يريد الله فيحمده الناس ويثنون به عليه
فقال تلك عاجل بشرى المؤمن • وقوله صلى الله عليه وسلم في العبد اذا احبه
لم يخرجه من الدنيا حتى يملأ مسامعه مما يحب • وقوله انتم شهداء الله في الارض
واشباه ذلك في الكتاب والسنة فان كان سروره بما ذكر به من الخير شكر الله
عليه وحمدا منه لله اذ جعله الله عز وجل ممن يذكر بعلامة الخير فليس ذلك بسرور
فاسد ولكنه شكر وطلب مزيد وعلامة سلامة نيته وعمله في ذلك ان يزداد لله
تواضعا ولآلائه شكرا وفي طاعته اجتهادا ومع ذلك ينبغي ان يرد نفسه
الى طريق المخافة من الاستدراج ويكون ما خفي من عمله احب اليه مما ظهر مخافة ما يجيء
اهل الصلاح من الفتنة في ما يسمعون من المدحة والثناء ولما جاء من النهي والكراهة
عن التزكية والمدحة ان يسمع الرجل صاحبه مثل قوله صلى الله عليه وسلم من مدح
اخاه في وجهه فكانما امر على حلقه موسى رميضا • ومثل قوله عليه السلام
لو سمعك ما افلح منها ومثل قوله عقرت الرجل عقرك الله هذا ونحوه كثير فاذا
كان مذهبه ونيته شكر الله على ستره وحمد الله على نعمته ويكون ما سبق من السرور
الى قلبه في ثنائه اذا سمعه رجاء القدوة به اذا كان ممن يصلح ان يقتدى به
لقول الله جل وعز واجعلنا للمتقين اماما يقال ائمة في الخير يقتدى بنا فاذا كان
كذلك رجوت ان لا يضره ذلك ولا يفسد عليه عمله • ويذكر عن مطرف

انه قال

انه قال ما سمعت ثناء او مدحة الا تصاغرت الي نفسي • وقال زياد بن ابي
مسلم ليس احد يسمع ثناء او مدحة الا تراءى له الشيطان عليه ولكن المؤمن يرجع
فقال ابن المبارك قد صدق كلاهما اما ما ذكر زياد فذلك قلب العوام واما ما ذكره
مطرف فذلك قلب الخواص • وان كان مذهبه ونيته اذا سمع ذلك سروره
لطلب الرفعة والمنزلة عند الناس فما اسوأ حاله في احباط عمله • واما المرائي
فهو الذي يكون مذهبه ونيته في اول عمله وآخره طلب الثناء والمحمدة والرفعة
والتكرمة عند الناس واجترار المنافع به فذلك الذي جاءه الويل والثبور في
الدنيا والآخرة فان كان يعرف معرفة حتى ان ما اعجبه لهذا المعنى ولم يعجبه
ذلك لما نال من الجاه عندهم فلا جناح عليه وعلامته ان يزداد تواضعا
ويحدث خوفا من الاستدراج وما يخفى من عمله فهو احب اليه مما يظهر لانه طمع
في طريقة الصالحين فعلى قدر ذلك ينبغي ان يرغب في اعمالهم وفيما نالوا
به اسم الصلاح وصاروا من اهله مع ما يلزمه من الخوف والفتنة ما يلزم اهل الثناء
والمحمدة اذا اثني عليهم او مدحوهم مثل قوله عقرت الرجل عقرك الله وقوله
قوله لو سمعها ما افلح وقوله قطعت عنق اخيك وقوله اياكم والمدح فانه الذبح
واشار بيده الى حلقه وقوله اذا رايتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب
وقوله عليه السلام ولو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان
يثني عليه في وجهه ومثل هذا كثير وصاحب المدحة الخوف عليه اكثر من الرجاء
لان الخوف لا يضره والرجاء لا يامن فتنته • وعلامة اصحاب النجاة في الدنيا
واصحاب الرياء المحبين لذلك انهم اذا سمعوا الثناء والمحمدة اجتنبوا ذلك وازدادوا
عزة واعجابا بانفسهم وغفلة عن الاستدراج وتمادوا وتمنوا وطمعوا ان ما ظهر من
اعمالهم كان احب اليهم مما خفي ولم ينجوا من فتنته ولا من آفته وكذلك اذا كره

الدنية ان كان انما كرههما لانه احب ان يكون مكانهما ثنا ومدحة لينال بذلك
الجاه والقدر والمنزلة والرفعة عند الناس فهي كراهية سقيمة مذمومة وصاحبها
مغرور مخدوع وان كان انما هي حب منه لستر الله عليه وكراهية هتك
الستر عنه لانه لم يثق انه امن حتى جاه المقت من عند الله قبل مقت الناس
فان كانت الكراهية انما هي من هذه الجهة فان هذا يكرهه الصادق وغير
الصادق فلا يلام عليه وعلامته التضرع والاستكانة والمراجعة والنظر
في التخلص الى طريق محبة الله تعالى وسبيل الاستقامة ومحجة الايمان ويجد فيه
وابين من ذلك انه كل من زعم انه يريد بعمله وجه الله لا يريد من احد على
عمل يعمله من اعمال الصالحات جزاء ولا شكورا ثم عرفه الناس بعمله وذكر
وصار معروفا عندهم ونال منهم الرفعة فان كان يعرف من نفسه انه
اذا عرض عليها ان يحول اسمه وما نال بعمله من الناس من الثنا والمحمدة الى غيره
ويبقى هو عند الناس كمن لا يعرف له عمل من اعمال البر ذكر ولا غيره فكان هذا
احب اليه فامره قريب وان كره ان تحول ذكره الذي كان عليه الى غيره
ويبقى هو عند الناس كمن لا يعرف له عمل من اعمال البر فدعواه حينئذ باطل لان
الذي يقول انه يريد بعمله ولا يريد غيره فاذا تحول ذكره الى غيره لم يتحول الذي
عمل له العمل ثوابه الى غيره ولم ينقصه من ثوابه شيئا ولعله ان يكون اكثر له عنده
واقرب منه مثوا والذي كان يزعم انه لا يريدهم به يكره ان يزول عنه الاسم
الذي ثبت له عندهم به المنزلة وكره ان يبقى عندهم زعم انه لا يريدهم بلا ذكر
عمل يعرفونه به • ومثل هذا ايضا ان كانت له خصلة عند الناس من خصال البر
نسبوه اليها ويظنون انه صاحبها غلطا منهم بها وجهالة فكره ان يعرفوا
ذلك ويطلعوا عليه انه ليس ممن يعمل تلك الخصلة او له عمل من البر عند الناس

ان ما يعمل

ان ما يعمل هو من البر اكثر فيكره ان يطلع الناس عليه فلا يقعا لمحبة نفسه عند ذلك
يعمل من اعمال البر فانه ممن يحب ان يحمد بما لم يفعل ولا يمكن ان يكون واحد
يحب ان يحمد بما لم يفعل ولا يحب ان يحمد بما قد فعل حتى يحبهما جميعا وكذلك
ان صحب رجلا معروفا بالصلاح والعبادة عند الناس او له سبب قد نال بذلك
ذكرا من غيره فكره ان يسقط ذلك عند الناس فلا يقعا لمحبة نفسه عند ما يعمل
من اعمال البر فانه لا يمكن ان يحب الذكر بعمل غيره ولا يحب ان يذكر بعمل نفسه الذي
يعمل هو حتى يحبهما جميعا فان وجد نفسه في هذه المواضع صادقة على ما يجب
عليها فيه الصدق فارجوا ان يكون من اهل الصدق ان شاء الله تعالى •
في اليقين • واما اليقين فعند العمل والصدق فيه مثل هذه الثواب والعقاب فليس
يكون بكثرة النفقة ولا بكثرة الكلام ولا يحتاج فيه الى تحريك التفتيش ولكن
بالايمان وبالعقل وبالمعرفة وحسن التدبير في ظاهر امر العبد وباطنه فيعرف
الصدق ويعرف ضده من الكذب ويعرف الخير وضده من الشر فيعمل في اثبات
الصدق ونفي ضده ويعلم الاصل من الفرع فيكون الشغل في اثبات الصدق
من وجه الاصل وانتفا ضده من وجه الاصل فان الاصل باق على الفروع وما دام
العبد يشتغل بالفرع عن الاصل فليس يشغله فنا ما دام الاصل ثابت كلما ذهب
فرع اخلف بدله اخر • وحب العز اصل ومنه يخرج حب الرياسة والجاه
عند الناس ومنه الكبر والفخر ومنه الغضب والحسد ومنه الحقد والحمية والعصبية
والنفس عاشقة له وهو قرة عينها وهو حب البهائم اقام واحد لواحدها ويعني
انه اخر ما يبقى في قلوب تاركي الدنيا للاخرة وذلك لصعوبته وتمكنه من
النفس فالعمل الصالح من غير المريد المستحكم من اهل القراءة سلاحه الذي يقوى به
سلطانه هو العز في النفس والفخر بالعمل والازراء على الناس وقد راينا من يعمل

وما دام العبد لا يشتغل بالاصل عن الفرع
فليس يشغله فنا

في صفة العز

اعمال الصالحين من الصلاة والصيام والصدقة والحج والجهاد وغيره في نفسه
زائد بعضهم وحقد ايضا من يتواضع لطمع زيادة في العز ولا اعلم اني رايت
احدا من اهل السلوك خاليا منه يعني من العز فان كان يجد بقيا حلاوة طعمه معه
على قدر ما يمكنه ولا يفلح معه عابد ولا زاهد وكيف يكون زاهدا والزهد لا يبقى
معه في مادى واحد فمن عالج نفي العز من نفسه ووفقه الله لذلك فقال
نفيه سهل عليه المسير في طريق محبة الله ومحبة الايمان وسبل الاستقامة
ومدارج الصالحين وهان عليه معالجة الصدق في عمله واطمانت نفسه الى
التذلل والتواضع وطاب له طريق العدل لانه لا يقدر ان يحب للناس
ما يحب لنفسه وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على قبول الحق
وفيه العز ولا يقدر على التواضع الذي هو شرف التقوى وحليته وفيه العز
ولا يقدر ان يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز
ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر
على ترك الحمية وفيه العز ولا يقدر على ترك العصبية وفيه العز ولا يقدر على سلامة
القلب وفيه العز ولا يقدر على النصح وفيه العز ولا يسلم من الازراء وفيه العز بالناس
فما اكثر ضرره واعظم فساده واظهر امره واقل رشده وابين غيبه عند
الخواص والعام وما اغفل الناس عنه واقل معرفتهم به واشد منازعتهم له • فالهوى
حكمه والكبر اخوه وعضده والجور سيرته والغضب سلطانه والرياء من اعوانه
له يكسب واليه يؤدي والعجب اضعف عونا له والحسد امير جنوده والغل صاحب
مشورته • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الكبر والحسد ياكلان
الحسنات كما تاكل النار الحطب • وقال بعضهم الغل والحسد • والعز في الخلق عام
في العبيد والاماء والفقراء والاغنياء والضعفاء والاقوياء والقراء والعلماء وكل واحد

منهم

منهم يظهر منه على قدر ما يمكنه اظهاره ومن لم يمكنه الاظهار عامل الناس به
سرا في نفسه لانه ما دام في الاسلام لا يترك حظه منه سرا وعلانية الا ترى
كيف يتغبط في نفسه على غيره وكيف يحسده ويبدو حوله ليطلب عثراته
وكيف يتكلم فيه بحكم الهوى ولو ملك من ذلك في الظاهر ما ملك في الباطن
لاظهر مثل الذي اضمر من ذلك في الباطن واقبح امره وافسده له واشده
فضيحة اذا كان في القاري لانه لا يكاد يتعزز على غيره بسبب من الاسباب الا
باسباب الدين والا رايت فيه اثر ذلك • فسبحان الله ماذا يلقى القراء خاصة
من العز ومن اعوانه بعد ذلك على ذلك سرعة حقدهم وكثرة غضبهم لانفسهم
من طريق الاعزاز لها وما يجد على الناس فيه مما خطر له وذلك كله من ذواق العز
وحركته اذ لم يجز لاهل الجنة ولا الملائكة ولا النبيين يريد القاري ان يجوزه لنفسه
وان يجعله فوق راسه وانما كان ينبغي للصادق في قراءته العمل في اطفاء العز
من قلبه في اول امره وان يجعله تحت قدميه ولو ان رجلا صلى الغداة ثم اقبل
على نفسه واصلح خصلة من خصال العز ليس العز كله واخر تصدق بوزن نفسه
ذهبا على اليتامى وجايعة من وجه طيب لكان الاول اغبط وكانت النعمة عليه
اكثر والشكر عليه اكبر عند اهل المعرفة والعلم فكيف اذا اصبح وهو لم يكن همه
الا العناية بالعز لنفسه لتجربته له ومعرفته به واخر اصبح ولم يكن همه ولا حيلته
الا العناية بنفي العز من قلبه ولزوم التواضع وذل النفس لتجربته لسرور التواضع
ومعرفته بفوائده وهيهات ليس شغل يشغله ما انفعه من شغل وارضاه عند مليكه
وازوحه للقلب فاعتبر رجلين امرا بالعبودية واحب احدهما ان يجعل نفسه
عبدا كما امر واحب الاخر ان يجعل نفسه ملكا اي ما ذنب اولى بالجائزة من المولى
وايهما يستاهل العقوبة الموجعة • قلت قد وصفت من فساد العز وضرره وشره

ما قد وصفت نصف الى طريق التحرز والامتناع منه فان المريض اذا عرف
داءه احب ان يعرف دواءه وهكذا من احب ان يعرف عيب نفسه يحب ان
يعرف الذي يصلح به عيبه فقال ان ابن آدم تكلف نزول الطير من جو السماء
فانزله فتكلف خروج الحوت من قعر البحار فاخرجه وتكلف اخراج الذهب
والفضة من بطن الارض فاخرجها وتكلف اخذ الدواب والانعام والوحوش
والسباع من البراري والغياض فاخذها وذللها وسخرها وتكلف اخذ الافاعي
والحيات فاخذها وتكلف معالجة الشياطين فعالجها وتكلف معرفة النجوم
في السماء واسمائها ومجاريها ومطالعها ومغاربها وتكلف منازل الشمس والقمر
ومجاريهما ومطالعهما ومغاربهما وتكلف معرفة الولد اذا لم يكن من ابيه
فعرف ذلك كله لما تكلفه وتكلف معرفة مرض المريض واسباب علله بالنظر
الى بوله من غير ان ينظر اليه فيعرف داءه ويعرف دواءه فعرف ذلك وتكلف
تعلم سير الملوك الماضية من القرون الاول فعلمها ودرسها وكل ما تكلفه ذلك
فانما حمل نفسه على تكلفه لطلب الزيادة من الدنيا وليس في هذا من امر دينه الذي
كلفه شيء وكلف تقويم نفس واحدة فلم يقم بتقويمها وليس عليه من امر
غيرها شيء لم يكلف الا اصلاح فساد نفسه وحدها فلم يقم باصلاح فسادها فجهل
بعض الصلاح وعلم بعضا فما جهل فهو جاهل به لا يتكلف علمه وما علم من فسادها
فهو مضيع لا يصلحه ولم يكلف احد ان يصوم ولا يصلي ولا يزكي ولا يحج
ولا يتوضا ولا يغتسل عن احد انما كلف نفسه ليس لاحد من صلاح احد شيء انما
صلاح كل امرئ وتقواه لنفسه وفي ميزانه ليس في ميزان غيره منه شيء •
وهكذا النية في الاعمال لا تنفع نيتي عملك ولا تنفع نيتك عملي اذا كانت صحيحة
ولا تضر اذا كانت سقيمة وانما المنفعة والمضرة على صاحب النية وصاحب العمل

وانما هي

وانما هي نفس واحدة فاذا صار الى امر نفسه لم يعرف خيرها من شرها ولا اقبالها
من ادبارها يعمل بالخبر فلا يدري مقبل هو فيه ام مدبر الا بظاهر العمل والدعوى
ولا يدري اي شيء يعمله للدنيا او للآخرة ليس يميز بين الامرين ولا يقايس
الهمة فيه والمحبة له والخشية فيه ولا يتوقف ولا يحس بطابع ضميره فهو يفسد
الخير بالشر ولا يشعر هو على ظاهره مقبل وهو في باطنه مدبر هو في ظاهره
آبق الى الله وهو في باطنه آبق من الله • فسبحان الله ماذا تكلف
المسكين من معرفة ما لم يكلف فشغل عنايته فيه وشغل فهمه به واما الذي جهل
فضيع من معرفته ما قد كلف واخذ عليه فيه المواثيق يدخل عليه الشر والفساد
فلا يدري من اين دخل واي اتاه وكيف هو وما السبيل الى التخلص منه فيبقى
عند ذلك تائها متحيرا وقد عالج ما في الهوى وما في قعر البحار بغير فما
شغل عنايته به لمعنى دنياه الذي قد تكفل له منها بما قدر له فيها وضمن له الوفا
بها اقبل عليها وادبر عنها فغلب هو مسكين الحق وغلبته نفسه ولو عني
بمعرفة نفسه وصلاحها وخيرها وشرها وخاف التلف عليها كما عني بمعرفة
ما ذكرنا من امر دنياه المضمونة له لعرف من فسادها وصلاحها ما عرف من ذلك
وقد رسنه على ما قدر من ذلك ولكنه رضي ان يسلك طريق الدين بالجهالة
ولم يرض ان يسلك طريق الدنيا الا بعلم وبصيرة ومتى تثبت رايته
في طريق الدنيا وهو يحسب انه في طريق الآخرة ومع ذلك ان بعض المدبرين
عن الله تعالى المعرضين عنه وقد تسموا علماء ونصبوا انفسهم للدلالة على الله
وهم جبابرة متصنعة مدخولون مشتبهة يحسبهم الجاهل ادلاء وهم عمي
حيارى فانا لله وانا اليه راجعون واعلم ان العز والتعزز ليس بغائب
قادم عليك فتريد التحرز منه والامتناع عليه ولكنه شيء قد حل ونزل ولكن

من المنزل واستوى وجلس في صدر المجلس واخذ منك اشرك وغلب خير موضع
فيك واتكا على متكاه واستخدم اعوانه بانواع هواه في اقبالهم وادبارهم
وان لم يمكن تراه فيه عذيت وبه ربيت وعليه نشات واياه تعودت وانما
تريد مفارقة هذا الذي عاديتك فكانه داؤه له اصل وفرع فكذلك دواؤه له
اصل وفرع • ولا اكثر عليك من صفات فروع دوائه فتمل وتعرض لكن
ادلك على الاصل الذي اذا عالجته اتى على الاغصان كلها وهو الاياس من جميع
المخلوقين ان يملكوا لك ضرا او نفعا او يعطوا او يمنعوا او يحيوا او يميتوا فالزمه
قلبك فانه اصل الاصول وراس الامر وسنامه فان كنت مريدا صادقا فاحسن
النظر في عواقب الامور فاغلق عن نفسك باب الطمع وافتح لها باب الاياس
وانفرد لذلك بارادتك كلها وتجرد في طلبه كالذي ليس له من حوائج الدنيا
كلها الا حاجة واحدة وتعزم عزما صحيحا على ان تهب نفسك لله في بقية عمرك
ان كنت تراه لذلك اهلا سبحانه وتعالى ما اغناه عن اهل السموات واهل
الارضين وما اشد اضطرارهم اليه • فاجعل يا اخي نفسك كهيئة الاسير
في ايدي اهل زمانك ايام حياتك في اتباع رضاء الله عز وجل والتخلص من
بلية العز فان الاسير لا يملك ولا يملك ولا يطمع ان يظلم احدا ولا ينتصر من ظالم
وتجد حلاوة طعم ذكر الله ولذاذة المناجاة في عبادة الله وانما قلت لك
استخراج العز وقطعه عن قلبك الياس من الناس لانه يردك الى الله وحده وبه رجوعك
الى الله سكون قلبك عليه وفي سكون قلبك عليه الازدياد من طاعته والوصول
الى خاصية عبادته وفي وجود خاصية العبادة النزول عند درجة العبيد وفي
نزول درجة العبيد اصابة شرف العبودية وفي اصابة شرف العبودية
اكتساب القلب الذلة لله عز وجل وفي ذلك افتقاد العز المذموم من قلبك

فلكون العز ذليل بذلة لله عز وجل فان عزك بطاعته وخضعت له فيتركك
بعبادته قال الله عز وجل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقال تعالى في المذموم
من العز والكبر كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار • وقد روي ان العز
ازار الله والكبرياء رداء الله فمن نازع الله واحدا منهما ادخله النار ••
قلت وكيف يتميز بين العزين قال اما المذموم منهما فيبعدك عن طاعة الله والمحمود
منهما يزيدك تذللا في طاعة الله عز وجل واعلم ان الامر واذا انتهى في الضيق
التسع وما هم الا قطع الطمع واستعمال الاياس فاذا انت قد صرت في روح
الروح والراحة والفرح تتقلب مع اهل هذه الدرجات بالتنعم بذكر الله والتلذذ
بحلاوة مناجاته والبكاء من خشيته وذقت حلاوة روح اليقين وفرح الرضى
وراحة التفويض وخفة محمله ثم صرت تنظر الى من يتعذب ويجول في سلطان
العز وملكه فهنيئا لك حينئذ تصبح وتمسي ليس لك هم ولا حزن الا بما انت
وارد عليه من امر آخرتك والله ينظر الى همك واردتك في دار والناس
في غيره واعلم انه من كان من اهل العناية بنفسه ورزق فهم التجربة بلغ معرفة الخير
والشر وعرف من اين وكيف دخل وتبر ووصف وفهم وفطن ونطق بالحكمة
وكان ما يسمع من الموعظة زيادة له في فهمه ومعرفته ووصفه ووقايتي فطنته
وبتر حاجته ومن كان من اهل العناية ولم يرزق فهم التجربة عرف ما معرفته
الخير والشر على قدر عنايته ووصف عن صفتها وعبارتها ومن اين وكيف
وضعف عن النطق بالحكمة والموعظة زيادة له في معرفة خيره وشره ومن لم يرزق
الفهم وليست له عناية فهو لا ينطق بلسانه عند الكلام ولا يعقل بقلبه عند
السماع ويروى ان الحكمة تقول من طلبني فلم يقدر علي فليعمل باحسن ما يعلم
وليدع اسوء ما يعلم • وقال الامور منافعها متفاوت ومضارها متفاوت فمنفعة

بعضها اكثر من بعض وضرر بعضها اكثر من بعض وتجد اكثر الناس مما عنايتهم
باصلاح ما هو اقل ضررا لهم في اصلاح ذلك اكثر منهم في اصلاح ما هو اكثر
ضررا وطلبهم لما هو اقل منفعة اكثر من طلبهم لما هو اكثر منفعة وبعض الامور تركها
اشد على العبد من بعض وصاحب الارادة لا ينبغي ان يغلط في هذا ولكن يتفقد
اموره كلها مفاتشة شديدة بالعناية وغايص الفهم ودقايق لطايف الفطن
حتى يعلم ما هو اشد عليه في الترك ويعلم ما هو اسلم له وانفع له فيجعل جده وجديه
ومعرفته وعلمه وفهمه وكياسته وفطنته وعنايته فيما هو اشد عليه في الترك واكثر
ضررا عليه والناس في ذلك مختلفون ورب رجل يهون عليه ترك شيء ويشتد
على غيره ويشتد عليه ترك شيء يهون على غيره تركه ويشتد عليه طلب ما يهون
على غيره ويهون عليه طلب ما يشتد على غيره لانه يحبب اليه هذا من الاشياء ما لم
يحبب الى غيره ويبغض اليه من الاشياء ما لم يبغض الى غيره وربما كان امران ضاران
كلاهما واحدهما اكثر ضررا من الاخر ومؤونة تركه ما ليس باشد على صاحبه من
ترك الاخر ولكن المعرفة تقصر بالعبد عن حسن الاخذ له والترفق فيه فتركه ما
هو اشد عليه تركه واقل ضرره اقوى واترك له مما هو اكثر ضررا وهو عليه تركه
واهون من ذلك اضعف واعجز عنه ولا يعرف هذا الا من يقلب الامور تقليبا
ويفاتشها تفتيشا فينظر هذا الذي يؤتى منه ما سببه لم يرى على نفسه من ترك ذلك
السبب كبير مؤونة فيقول لا اترك هذا ولكن اترك الامر الذي يشتد على نفسه
تركه وليس في ذلك الامر الذي يقدم على تركه وهو اشد عليه كلفة وهذا الذي
لم يعزم على تركه ولو نظر الرجل الى هذا بالمفاتشة لوجد شيء هذا اكثر اسبابا كلها
تقطع عن طريق الاخرة يستهين الناس بها قلت فما الذي يقطع بالخاصة
والعامة عما هو اكثر لهم ضررا واشد عليهم فقال قد اخبرتك ان الناس فيه مختلفون

ورب

ورب شيء هو اسلم من الاخر ورب شيء هو اضر عليه من الاخر واما انا فلا اعرف
خصلة اكثر في الناس ولا اغلب عليهم ولا اكثر ضررا ولا اشد عليهم تركا على
الخاص والعام والعالم والمتعلم والجاهل من الغفلة واشد الغفلة الذي انت
عنه غافل وبه جاهل واشد ذلك على الناس واكثر عندي فيهم الاعجاب انظر
هل ترى احدا هو عند نفسه جاهل في امر الاخرة وامر الدنيا انظر هل ترى احدا
يتعرض لشيء لا يعلمه وليس هو من فئته يقول انا به عالم وانا اولى بهذا الجاهل
المغتر المدعي بعلم الاخرة من فئة قدر الاخرة في قلبه وقلة تعظيم حرمات الله
عز وجل وانظر هل ترى احدا عند هذا الغافل المغتر والجاهل ارفع عند نفسه منه
واعلم منه فيقر بذلك على نفسه الا ما لا يجد منه بدا ولا يستطيع دفعه قلت
فما الذي ترجو ان يكون اصلح وانفع لهم قال التيقظ اصل كل خير كما ان
الغفلة اصل كل شر فما اكثر من يكون عند نفسه متيقظا وهو غافل وما احب اليه
التغافل عن التيقظ وانسه بالغفلة واعلم ان ابين علامة التيقظ الهم والحزن
ثم حسن الاستعداد لما اهتم له وحزن عليه وابين علامات الغفلة البطر والمرح
لانهما يتشعبان ويتشعبان التيقظ وفي ترك التيقظ ترك الاستعداد لما بعد الموت
قلت فما التيقظ وما الغفلة قال التيقظ تقريب الاجل ومراقبة الموت والفكر
فيما يصير اليه العبد من بعد الموت ومن هذا يفتح لك باب العمل فتبادر اليه
من قبل ان يبادر اليك وتستغنم كل ساعة من حياتك قبل انقضاء الاجل فان
رزق العبد الدوام عليه تنبع من ذلك ينابيع الخير ان شاء الله عز وجل
واما الغفلة فطول الامل ونسيان ذكر المعاد الا بالخاطر ولا يدوم عليه العبد
الا رمى بالخطر وراء ظهره ومنه يتولد التسويف والوقوع في بحر الاثام قلت
فمن من شيء يقوى على التيقظ وترك الغفلة قال نعم اخلاص الدعاء ومصاحبة من يريد

ما تريد تستعطفك ولا تضرك وان كنت لا تشعر • واكثر الناس يوتون من ثلثة
اشياء من الغفلة والغلبة والجهالة ورب رجل يجتمع فيه الثلث خصال كلها لو
قلت اني لا اعلم من ازريه منها لكنت صادقا • وقال ليس ممن يحث على الخير
ويحث عليه ولا يمكن ممن يريد ان يحث على الخير • وقال كل شي ليس فيه
نفع ولا من فوق فلا يمكن فيه النية وكل شي فيه نفع ومن فوق فلا يجوز الا بنية •
وقال عجبت لمن ضعفت نيته في حسناته وصحت في شهواته ولا يلومن ذلك
كذلك الا من المحذ وعيس المموه عليهم او من نحا وعيس المموقين • وقال من صحح
خصلتين فقد استحكم اموره كلها من صحح لم ولم يقول لم اعمل ولم عملت ولم
لا اعمل ومن قنع او جهل فعلى حسب ذلك • وقال اول من اخلاقك ثمان
خصال التكلف في القول والفعل والمرا والمداهنة والجبرية والخب والخداع
والمزاح والتفريط • وقال التغافل عما يكره احد قسوة في القلب وفي قسارة
القلب ذهاب حلاوة الاعمال وفي ذهاب حلاوة الاعمال قلة الطاعات وفي قلة
وفي ترك الشكر
الطاعات قلة الشكر نسيا وما عملت وحرمان ما طلبت وانقطاع الزيادة • وقال
انك في زمان اسلم الناس فيه جايع متوحش من الناس محزون مهموم • وقال
الجوع يكسر النفس والشبع يهيج البطر وفي الجوع قوة الهم والحزن وفي الهم والحزن
قوة على الجوع والهم والحزن يقطعان الشهوة والرغبة • وقال الانسان مخاف
للتفريط معنا وللبغي مشغوف بالتسويف مجبول على الملل والنسيان وهو موصوف
بعدم العزم مطبوع على طول الامل منعوت بالجزع عند الشدة وبقلة الشكر
عند النعمة موكوع بالانخدام والاغترار • وقال معرفتك بعيبك وعيب غيرك
سواء فمن لم يعرف عيب غيره لم يعرف عيب نفسه فاذا ظهر لك من عيوب
الناس ما خفي عليك من عيبك اشتد لك بعيوب الناس على عيبك واذا ظهر لك

من عيبك

من عيبك ما خفي عليك مثله من عيوب غيرك فلا توقع ذلك بغيرك حتى ينظر
لك منه مثل ما ظهر لك من نفسك والزم نفسك ذلك العيب وارجع الى صلاحها
منها وتفقصا عليها معرفة عيوبها وتجسس عليها وفاتشها ووافقها وحاسبها
وخذها بادراما عليها اشد الاخذ ولا تطلبن ذلك من غيرها فاذا ظهر من غيرها
شيء فالتمس طلب العذر له فاطلبه واما نفسك فلا تطلبن لها عذرا وان
اعتذرت فلا تقبلن منها • وقال اعمال البر كلها على وجهين سرا وعلانية
فمن لم يقدر على تصحيح النية فيما يعمل من السر كان للتصحيح فيما يعمل من العلانية
ابعد ومن قوي على تصحيحها في العلانية كان فيما يسر من عمله اقوى وهكذا في
القليل والكثير من لم يقدر على تصحيح النية في القليل من العمل كان في الكثير منه ابعد
وقال الريا على وجهين رجل قد عمل اعمالا من البر فنال بها ثناء وجاها وقدرا
وهو يريد في ما يستقبل من الاعمال الاخلاص فمن لم يقدر على ترك الريا فيما يستقبل
كان فيما عمل ونال به الجاه والقدر والمحمدة والمنزلة من الناس من الاخلاص ابعد
فهكذا في كل شي ترك ما لم تملكه ايسر من ترك ما قد ملكته قلت فمن احق الناس
بصدق النية قال اشدهم لها حبا قلت فمن ابعد الناس من صدق النية قال
ازهدهم فيها وازهد الزاهدين فيها اشدهم لها وانا الناس لها اجهلهم بها
وقال اول علامات الريا رضا الرجل بجهاله صدق النية في عماله واول صدق
الرجل عنايته بمعرفة صدق النية واخلاص العمل • وقال النبي صلى الله عليه وسلم
الاعمال بالنية • وقال اخوف ما اخاف عليكم الريا والشهوة الخفية • فما بال
العبد يتعلم كيف يعمل ويحتمل مؤونة العمل فيعمل بما قد علم ولا يتعلم كيف يزكي
فيتعلم من العلم ما يعمل به وما لا يعمل ولا يتعلم صدق النية لا فيما يعمل ولا فيما لا يعمل
يعيش ما عاش ويموت اذا مات ولم ينتبه لذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم ومن يعمل

من الائمة واهل العلم والمعرفة يحذرون الرياء حتى ان بعضهم قال ادخل البيت
المظلم فاصلي فيه ركعتين لا تخلص لي وقال الثوري ما كنت اعتد بعمل يراه
الناس ولو كتبت في الكتاب مثل هذا لاحتجنا الى دفاتر فالذي قد عرف من الرياء
ما جهله غيره وعني به واهتم له في ليله ونهاره لعله ما يخدع ويغلب عليه اكثر
من الذي يصير الى ما يريد منه فكيف بالجاهل به المعرض عنه فرب رجل يعمل
وهو يرى انه فيه صادق ولا يتبين صدقه الا بعد عشر سنين وان شئت
قلت خمسين سنة فما العشر والواحد والخمسون والماية فيه الا واحد قلت مثل
اي شيء فقد جئت بالقول العظيم قال مثل الرجل يتصدق على الرجل بصدقة
او معروف يصطنعه اليه يزعم انه اراد بذلك وجه الله وحده ولم يرد به جزاء
ولا شكورا ثم بدت له الغيرة قبل المصنوع اليه المعروف حاجة فقضى حاجة
غير الذي كان صنع اليه المعروف وتصدق عليه ولم يقض حاجته فذكر صدقته
عليه في نفسه فوجد عليه حيث لم يقض حاجته وقضى حاجة من لم يتصدق عليه
ولم يصنع اليه معروفا فيتبين صدقه في ذلك الوقت من كذبه ولعل ذلك بعدما
صنع المعروف بزمان من الدهر او رجل يكون صاحب عبادة خمسين سنة يرى انه
صادق فيها لا يريد بها جزاء ولا شكورا في سره ولا في علانيته ما نابت نائبة
فكتبوا اسامي صلحاء الموضع الذي هو فيه وعبادهم فلم يكتبوا فيه اسمه وجعلوه
في اخرهم وقدموا من لم يكن مثله في العبادة فانكر ذلك في نفسه ووجد منه
حيث لم يجعلوه في اولهم فيتبين عند ذلك صدقه من كذبه في عبادته ولو كان
صادقا لم يجد في نفسه ولم ينكر ما صنعوا وعدها من كبير نعم الله عليه • ففي هذا
واشباه هذا بيان انه اراد به جزاء او شكورا وكل عمل لم يبلوه صاحبه ولم يمتحنه
ويختبره ويفاتشه فهو ملتبس والملتبس لا يتبين حقيقته الا عند البلوى والناس

لبس

لبس يحاسبون على قدر علمهم ولا جهلهم وانما يحاسبون بالظلم وعليهم على قدرها
امروا به ونهوا عنه • فثلثة ابواب من العلم على الناس ان يعرفوا ما خفي منها وما ظهر
باب فيما بينهم وبين الله تعالى وباب فيما بينهم وبين الناس • فاما الذي
بينهم وبين الناس فباب النصح لقول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة فيما
خفي من الاشيا وفيما ظهر وما قل وما كثر للقريب والبعيد والعدو والصديق •
والذي بينهم وبين الله فباب النية وتصحيحها والارادة في الاعمال فيما خفي منها
وما ظهر وما قل او كثر لقول النبي صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنية • والباب الثالث
معرفة الرجل بنفسه • فاما باب النصح فيكون نيته وسيرته ومذهبه في السر
والعلانية ان امور الامة كلها لو اجريت على ما في ضميره وسريرته لهم لرشدت
امورها واطاعت ربها وصار الى كل واحد منهم حظه من الحق والعدل وان كانت
هذه سيرته في خاصته وعلى هذا نيته في العامة رجوت انه في كل امر جليل ونعمة عظيمة
لا يعلم قدرها الا الله وان خالفت سيرته في خاصته وعامته هذا الوصف
فلا حظ له في نصح الخاص والعام وكان ما يدعي انه يضمر وينوي في سريرته
من نصح الخاصة والعامة مردود عليه غير مقبول منه ولا نعرف في ابواب العلم
حديثا اجمع في الاشيا كلها من هذا الحديث قوله الدين النصيحة ولا اقرب ولا اقصد
قصدا ولا اس في اعمال البر كلها اساسا ولا بطريق الصالحين اشد اتباعا من هذا
الحديث ولا احوط في الحق والعدل ولا ارضى منه عند الخاصة والعامة وهو
ان تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره للناس ما تكره لنفسك والنصح واصله من اعمال
القلوب وفروعه من اعمال الجوارح فربما اجرى بالقلب وربما لم يجز الا باللسان
وربما لم يجز الا بالقلب واللسان والجوارح • وقال ان الشي يغلب الشي والشي
يشغل عن الشي والشي ينسي الشي والشي يفسح الشي والشي يزيد الشي والمحاسب نفسه

تدع في هذا وادناه السقط واعلاه السبا. واعلم ان الشر شهوة والخير كراهية
والشهوة سابقة للكراهية وغالبة عليها حتى يجيء العلم والصدق فيزيل الشهوة
ويجعلان الكراهة مكانها فمن لم يتفقه ولم يفهم هذا حبس بسمعه لم يحسن
مراجعة سريرته ولا يقدر على اصلاحها حتى يتعلمه ممن يحسنه ويحسن وصفه ولولا كثرة
القول فيه لكتبناه. وقال نعم للصاحبان الهم والحزن بامر الاخرة ونعم
الشغل المحاسبة وصاحب الهم والحزن والمحاسبة يجعل الساعة التي ليس فيها هم
ولا حزن ولا محاسبة ساعة بطالة واقل قليل الغفلة عنده كاكثر الذنوب عند
غيره. ومن علامة اليقين في العبد ادامة الحزن فيه. يا اخي ولو لم يحزن العبد
الا لما يكون فيما يستقبل من الاعمال من الجفا والسهو والغفلة وقلة الصدق في زهده
ونافلته مثل الذي قد عمل ولما يجد فيها من قلة الحيا والمراقبة لكان جديرا ان يحزن
ويهتم ولو لم يحزن ويهتم الا انه لو جاء من الاعمال بمثل اعمال الملائكة والجن والانس
والعالمين كلهم لم يكن عنده علم ان ذلك في المقبول او في المردود ولا يدري
ايقبل من ذلك كله مثقال ذرة او يرد عليه لكان ينبغي له ان يحزن ولو لم يحزن
الا انه لو قيل له اخبر من عمرك اي ساعة ثبتت لم تعص الله فيها بسبب من الاسباب
لما كان يجد ذلك لقد كان ينبغي له ان يحزن ولو لم يحزن الا انه لو قيل له هل تعرف
ساعة واحدة مضت من عمرك اديت الى الله سبحانه فيها جميع ما اوجبه عليك
كما اوجبه لقال ما اعرفها. قلت اخبرني كيف احاسب نفسي في معرفتها فقال
ان الاشياء تعرف بالدلالات والعلامات والامثال وساضرب لك في ذلك
مثلا يكون علما لما سالت عنه ان مثل الناس في جبلتهم وفي تفاوتهم بعد المعرفة
بهم والخبرة لهم وتفاوتهم وتفاضلهم مثل سفط موضوع في طريق فيه قوارير
مملوة موكاة الرؤوس يمر به الناس لا يدرون ما فيه فعرض له من الناس عارض

من الارادة فقال لاكشفن عن هذا السفط فلانظرن ما فيه فكشف عنه فراى
قوارير مملوة لا يدري ما فيها فحل اوكيتهن كلهن فبدا له من هذه رائحة المسك
ومن هذه رائحة العنبر ومن هذه رائحة البان ومن هذه رائحة الخلوق ومن هذه رائحة
الغالية ومن هذه رائحة الياسمين ومن هذه رائحة الخيري وساير الطيب الالوان ثم
ومن هذه رائحة النفط ومن هذه رائحة القطران والكبريت وما لا طاقة له بالتسليم
عندها من شدة نتن ريحها فالناس في جبلتهم مثل السفط والقوارير وهم
في معرفتهم والبحث عن اخلاقهم متفرقون على قدر القوارير. ومثل السفط
ايضا في جبلته مثلك انت وحدك والقوارير اخلاقك وادابك وريحها الطيبة
خير اخلاقك وادابك الحسنة المرغوب فيها والرائحة المنتنة شر اخلاقك وادابك
السيئة القبيحة ولا تعرف النفس حتى تمتحن وتختبر فاختبر نفسك حتى تعلم ما فيها
وان اردت ذاك فعاملها بالموافقة لها والمخالفة لشهوتها في وقت الشهوة
واجهد اليها النظر حتى تعرف حلمك في الوقت الذي عرض لك فيه سفه
سفيه عليك ليس في الوقت الذي وافق هواك واعرف تواضعك في وقت
ما جفاك جاف واكرمك مكرم فان فيها الفتنة فان العبد ربما تواضع واظهر
ذاك عند الكرامة ليزداد منها وربما تواضع عند الجفا ليثبت له بالتواضع
عند ذلك منزلة عند الناس. فتوقف عند ذلك كله وفاتش الهمة واعرف
صحتك عند خوفك من سقوط جاهك عند من لك عنده الجاه والقدر واعرف
صدقك عند الحالة التي تتزين وتتصنع في مثلها المتزينون ويتصنع في
مثلها المتصنعون واعرف نصحك عند حبك لنفسك ولصديقك وعدوك
حتى تعلم هل تحب لغيرك ما تحب لنفسك ام لا. واعرف صبرك عند ترك
شهوة قد ملكتها هل تستطيع تركها وتصبر على ذلك ام لا. واعرف ورعك

عند الحاجة التي قد استمكنت منها هل تستطيع الوقوف عندها اذا التبست عليك
ام لا • واعرف عقلك عند ترك ما لا نفع لك فيه في الدنيا ولا في الآخرة
ولا ثواب لك عند الله تعالى هل تستطيع ترك ذلك ام لا • واعرف امانتك
عند هواك في الوقت الذي تهواه هل تضبط اداء امانتك في ذلك الوقت نسخه
ام لا • واعرف طمعك في وقت هيجان رغبتك هل تستطيع عند ذلك
الاياس ام لا • فان كنت في هذه الحالات والاوقات محمودا فما احسن
خبرك فاحمد الله واسأله الزيادة من فضله وامض فانك على سبيل الاستقامة
وطريق المحبة ومحجة الايمان • وان كنت في هذه الحالات مذموما فاعرف ذلك
وسبب ذلك داء بك ان تصلحها فان فيك داء عظيما ولست على سبيل الاستقامة
ولا على طريق المحبة ولا محجة الايمان فاتق الله وراجع مفاتشة نفسك واصلاح
فسادها قلت يجيء مني في بعض احوالي ما اشتهت عليه نفسي وتشتد عليه
قال يمنعك ذلك من معرفتك بها وندامتك عليها رداءها فاذا نظرت الى عثرة
غيرك فاذكر عثرتك ومقتك لنفسك ولو ان مصلحة النفس ومنفعتها كان
فيما تهوى او تشتهي لكان الناس كلهم صالحين ولكن جعل صلاحها فيما تكره
وفسادها فيما تحب وتشتهي اما انها لا تكره الصلاح والخير ولكن تكره المكروه
الذي به تنال الصلاح والخير ولو امكنها درجة الابرار باعمال الفجار لقبلتها فاحذر
الشر فانها تحبه وتحب خصاله وطرايقه وكل شيء منه • ومن تحاسبك لها
ان تخلو بها وتردد عليها تعاتبها فتقول يا نفس انك لا تقدرين ان تخادعي
الله ولا تغالبيه فلا تقبلي مخادعة الشيطان ولا مغالبته ولا تتبعي هواك
فيرديك ويهلكك واني لست احملك على ما طاقة لك به ولا علم لك فيه
واني اراك تحب لنفسك ما نقمت عليه غيرك وتكره لنفسك ما تحب عليه

غيرك

غيرك اراك تحب اهل التواضع والصدق والامانة حتى لو رايت نبوهم
وانما رحمهم لاحببتها فيما رغبتهم وتكره خصالهم التي بها نالوا الحب منك حتى
لو قدرت ان يكون في اعداد عدوك بعد ان تزول عنك لكان ذلك
مشيئتك فاما ان تكون تريد مخادعة الله اذ علمت انه لا يطلع منك على ذلك
واما ان تكون لا تحس ان تطلب الخير • يا اخي ان الجايع يحب الخبز وان
العطشان يحب الماء ولو جعل الخبز والماء بين ايديهما على مائدة او علق في
اعناقهما ما نفعهما علمهما بان الخبز والماء معهما ولا ينفعهما قربهما منهما دون
ان ياكلا من الطعام ويشربا من الشراب وهكذا انت لا ينفعك علمك بالخير
ولا قربه منك ولا حبك له حتى يكون فيك وتكون من اهله بل لا ازعم انك
تحبه ولكنك مخدوع او مخادع في دعواك انك تحبه • يا اخي هل رايت عطشانا
استمكن من ماء بارد فلم يشربه الا مدعي للعطش ليس بعطشان او هل رايت جايعا
وجد طعاما قد امكنه فلم ياكله الا مدعي للجوع وليس بجايع فكان بين البطال
دعواك فيما تزعم انك تحب الخير واهله اذا قست ما تحب من الدنيا بما تحب
من الآخرة لاني اراك اذا احببت شيئا من الدنيا احببت ان لا يكون له مالكا
غيرك فهذا الحب الصادق بعينه فاذا احببت شيئا من اعمال الصالحين فيما
رغبتهم فليس شيء اثقل عليك من ان تكون انت صاحبه ولو كنت محبا له
لاحببت ان لا يكون احد سبقك ولا يملك منه اكثر من الذي تملك • يا اخي
ما ان لك ان تقل وتشبع من الكذب والاغترار بالله تعالى ما ان لك ان تحب
ان يكون اسمك يوما واحدا من جميع عمرك مع اسماء الصالحين المتواضعين
الصادقين المخلصين الناصحين الشاكرين الصابرين الراضين المسلمين الانفس
المتوكلين المفوضين الخايفين المشتاقين العارفين العاملين الموقنين بحق

أقول لك لو مات أحد من العجب كان ينبغي لك أن تموت مكانك إذا نظرت
فيما أنت فيه من إيثارك للدنيا وإقبالك عليها واستيقانك بأنها لا شيء ورضاك
بترك طريق الصالحين وأهل الخير وصحبة محمد صلى الله عليه وسلم ومجاورته في الجنة
فلو كانت صحبته في الدنيا ثم تركت الدنيا كلها وآثرت صحبته لكان الذي تركت
حقيرا عند الذي نلت فكيف الصحبة في الجنة مع دوام الملك في جوار الله
وجوار أحبابه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن أولئك رفيقا في الحبرة والنعمة والسرور الدائم الأبد • فراجع
يا أخي نفسك وانظر ما هذه المخادعة وما الذي قد غلبك وغلب نفسك وما هي
المخادعة التي قد دخلت عليك وفكر فيما تصير إليه من موازنة عملك وسؤال الله
إياك عن مثاقيل الذر والخردلة وما فوق ذلك ودون ذلك وفكر في سرعة
انقضاء الأجل وعليك بقصر الأمل فلا تفارقه ولا يفارقك طرفة عين في
ليل ولا نهار • يا سبحان الله كيف لا تدهش ولا يذهب عقلك تعجبا من أمرك
فراجع أمرك وانظر ما يراد منك فإنما يراد منك إذا عملت عملا أن تريد به وجه الله
أو لا تعمله فهل يكون أقل من هذا هذا من نوافلك وأما فرائضك فإنك غير معذور
في تضييع مثقال ذرة منها حتى تعمل بما أمرت وتنتهي عما نهيت وما كلفت أمرا
لا تطيقه وما كلفت ما لم يكلف غيرك • ويراد منك مع ذلك أن تريد للناس
الخير وإن لم تردهم بخير فلا تردهم بالشر فهل يكون أقل من هذا أو ترضى لنفسك أن
الناس يريدون بك الخير وأنت تريد بهم الشر ويراد منك أن لا تجعل نفسك فوق
الناس في نفسك لا بقلبك ولا بلسانك فيكون أقل من هذا وقد دعيت أنت
والناس إلى هذا لا أنت وحدك • وقال أخبرني إن خالفت هذا الأمر وأردت
بعملك غير الله وأردت أن ترفع نفسك فوق الناس ولم تحب لهم ما تحب لنفسك

اترك

أتدرك وتنال ما أملت في ذلك ولست تعلم أنك أبعد ما تكون من الله وأنت
كذلك ومع هذا إنك تطلب الدنانير والدراهم فتنتفع بها وتنفق بها
في أيامك هذه وإنما تطلب بذلك الثناء والجاه والقدر • وقد أخفيت لنفسك
سريرة تستوجب بها البغض من خالقك وتستوجب البغض أيضا ممن وافقك
عليها لو ظهر من أمرك ما قد خفي ولا بد من أن يظهر يوما ما • وقال الصبر يترك
للناس عذرا ولا حجة فمن لم يلق الله بما أمره بحلاوة الرضى فليلقه بالصبر
وكراهته ومن لم يلق الله ببغض ما نهاه عنه فلا يلقه بالحب له والصبر فما ترك
الصبر للناس حجة • وقال من القليل ما يعتبر به الكثير وإن أهل الدنيا إذا أرادوا
أن يعملوا شيئا بدؤوا بالطلب فطلبوا أداة ما يعمل به ذلك العمل وإلا فلا سبيل لهم
إلى ذلك العمل البتة لو اجتمع أهل الدنيا كلهم معهم أداة كل صناعة هل قدروا
أن يثقبوا إبرة إلا بأداتها التي هي أداتها هكذا لجميع الأشياء كلها رأيت خياطا
قط قدر على صناعته بأداة خياط أو قدر الخياط على صناعته بأداة البيطار وهكذا
كل عمل لا يقدر الحداد على عمله بأداة النجار ولا النجار بأداة الإسكاف وهكذا
أعمال الآخرة لا يقدر عليها إلا بأداتها وأصل أداة أعمال الآخرة العلم والمعرفة
والاعتبار فإنها من دلالات الأداة • ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال حبك الشيء يعمي ويصم • ويروى عن عيسى عليه السلام أنه قال حب
الدنيا رأس كل خطيئة وأنفع ما عالج المؤمن في أمر دينه قطع حب الدنيا من قلبه
فإذا فعل ذلك هان عليه ترك الدنيا وسهل عليه طلب الآخرة ولا يقدر على
قطعه إلا بأداته أما إني لا أقول أداته الفقر وقلة الشيء وكثرة الصيام والصلاة
والحج والجهاد ولكن أصل أداته الفكر وقصر الأمل ومراجعة التوبة والطهارة
وإخراج الغم من القلب ولزوم التواضع وعمارة القلب بالتقوى وإدامة الحزن

وكثرة الهم بما هو وارد عليه • وما اكثر من يعمل هذه الاعمال التي وصفنا وحب
الدنيا في قلبه زائد • وكثير من الناس من لا يكثر هذه الاعمال وحبه للدنيا في نقص
لانه اخذه من وجهه ووجهه ان يلزم نفسه الفكر ويقصر عليه من الامل ويجد
الاشياء من حيث اباحها الله فيضعها حيث امره الله ويلزم قلبه ذكر قرب
مفارقتها ومفارقته ما فيها وما يصير اليه من الشدائد من القبر والوقوف بين يدي
الله عز وجل وطول الحساب ولا يدري في اي الصنفين يعده ولا في اي
الزمرتين اسمه افي الذين يحشرون الى الجنة زمرا ام في الذين يحشرون الى جهنم وردا
ويتفكر في ذنوبه التي اخذ اهل الدنيا بذنب منها لهلكوا او طول خلود اهل
النار في النار واشد من ذلك غضب الله على اهل النار ولما يخاف ان تفوته
من رضى الله عن اهل الجنة ويقل الفكر في الدنيا وفي نعيمها فان القلب مع
الفكر يحيا ان كانت الفكرة في الاخرة ويموت ان كانت في الدنيا • قال
وما على العبد ان يعزم على ان يجعل حظه من بقية عمره في الدنيا ما كان من جاه
او ثناء او محمدة من الناس او قدر عندهم وما كان من فضول النعمة فيها فيعزم
على ان يجعل ذلك كله لاعدا عدو له ولاشد حاسد له لا يقسم على اقاربه
واصدقائه منها شيئا بعد ان يرجو ان يكون ذلك لكاره من النار حتى لو دعي
اليه وحبس في الحبس الضيق ليقبله لم يقبله واختار الحبس عليه ولحذره ونفوره منه
كما كان يطلبه قبل ذلك فلعمري لو لم يكن فيه الا ما يرجو ان يدرك به صلاح
ما افسد فيما مضى من عمره فيصلحه ويتخلص مما مضى ويجعل الهم والحزن وقلة ملاقاة
الناس عدة له مع الدعاء والتضرع ويجعل الموت نصب عينيه ويستيقن بسرعة
الخروج من الدنيا فما اهون في عين من نزل منزلا وهو يريد الارتحال منه تركه
لجاره وما اقل شفقته عليه وما اشفق من نزل منزلا وهو يريد المقام فيه واحرصه

على عمارته

على عمارته • وقال ان الناسك اذا لم يقبل الحكمة ولا الموعظة ولا النصيحة من
العدو والصديق والسفيه والحليم فنسكه نسك الملوك قلت ذكرت اشياء
ينسي شيئا فمثل لي شيئا من هذه الاشياء قال مثل الشبع فانه يهيج الشهوة ويورث
القسوة والبطر والثقل والنوم ومثل كثرة الكلام فانه يقسي القلب ويقل
البهاء والمهابة ويقصم الحكمة ويكثر السقط • ومثل طول الامل فانه ينسي الاخرة
ويذكر الدنيا ويحسنها ويحببها اليك ويورث الحسد والتسويف ويقوي الهوى
ويكثر الشهوات وفي هذا ما يستدل به على اضداده فاذا فكرت فيه عرفت من
الاشياء ما يورث الخير وما يورث الشر وكل شغل يشغل عن غيره من الاشغال الا ان
القلب واحد لا يمكنه ان يشتغل الا بشيء واحد قلت الصدق والهوى يتغالبان
على عمل البر قال ان الله قادر ان يسخر الهوى للصدق وان كان يقبل والذي
يعرف هذا القليل في الناس هم قليل والذي يجهله كثير لان الارادة للعمل قبل
العمل والهوى والشهوة مما يلي العمل والنية والصدق من ورائهما فكلما اراد العبد
ان يهم بالعمل من قريب او بعيد ابتدر الهوى والشهوة والنية الصادقة الى
القلب يذكر ما يرجى ويؤمل من مثل ذلك العمل من حاجات الدنيا وشهواتها
ومنافعها ومرافقها ولذاتها وما يؤنس بمثله من الاشياء وما يحسن موقعه من الناس
وذكرهم له بالثناء والمحمدة والقدرة والجاه والرفعة والرياسة والارادة
الصادقة بعد غائبة وما دامت غائبة فالقلب يقبل هذه الاشياء لا يرد منها
شيئا لانه لا بد ان يكون للقلب امل في هذا العمل الذي اراد وهم به والانسان
اكثر شيء نسيانا واكثر النسيان منه في ذلك الوقت لان هذه الاشياء التي جاءت
النفس والهوى بها الى القلب مما ذكرنا من الثناء والمحمدة والرفق والقدر
والجاه والرياسة والمنزلة كلها مما تحلى بها القلب وتشتهيها وترغب فيها

فذلك يمنع الغفلة والنسيان عن الارادة الصادقة ولو كان مكان الذي
يستحليه ويشتهيه مرارة وكراهية لما كان يقبل النسيان والغفلة ولكن حب
جاه الموافقة سكن القلب الى هذه الخلال • فمن شاء الله عز وجل ان ينعم عليه
حتى تكون الارادة الصادقة امام الهوى وشهوة النفس حتى يريد بالعمل وجه الله
والدار الآخرة ففي هذا يكون شغل القلب عند ذلك وما يؤمل فيه من رضى الله
عز وجل وثوابه وما جاءت به النفس والهوى والشهوات مما ذكرنا لم يقبله القلب
ورده عليهم ففي هذا اعظم النعم وعلى صاحبه اكثر الشكر وان كانت النفس
والهوى والشهوة يسبقوا الارادة الصادقة فلا بد لصاحبه من الوقوف
والنظر والفكر حتى ينفي من قلبه ما عرضت به النفس والهوى والشهوة ويجعل
ارادة الله مكان ذلك وامامه فيقبله القلب سارة او سره ثم يتحفظ ويتعاهد
حتى يختم العمل الذي افتتحه بالارادة الصادقة بمثل ذلك وبعد فراغه من العمل
ما دام الروح في جسده واعلم ان احكام هذا اعسر واشد من نقل الصخر وركوب
الاسنة الا من رزقه الله احكام ذلك والعناية به مخافة تلف نفسه واحباط عمله
لان العدو ملح مجد محتال له في ادخال الافات التي تفسد الاعمال فهو يرصده
قبل دخوله في العمل وبعد ما يدخل فيه وبعد ما يخرج منه فان قدم الارادة والنية
الصادقة الصحيحة التي لا تهمة فيها ودخل العمل بها ونفى الهوى ودفع النفس
وخالف الشهوة وجاهد العدو فان صده بعد دخوله في العمل فعرض له مما ذكرنا
من الافات التي تفسد الاعمال فان قبلها حتى يختم العمل يفسدها فسد عليه اصله
الصحيح الذي كان اسس ودخل به في العمل وان هو لم يقبل ما عرض له به في العمل
ونفاه ودفعه لم يضره ذلك شيئا وان هو قبله ثم انتبه قبل ان يفرغ من العمل
فندم ورجع وتيقظ وازال الغفلة ثم ختم العمل بالندم لم يضره ذلك شيئا

وان هو

وان هو ختم العمل بالصدق والصحة فانه يطالبه في ذلك العمل ليفسده عليه
ولو بعد حين فينبغي للعبد ان يتقي الله وان يخلص له العمل ويقدم له النية
امام كل عمل وبعد كل عمل الى الممات حتى يكون اعماله كلها لله وحده ولا يطلب
الثواب الا من الله وحده ويجاهد هذا العدو المسلط ويخالف هذا الهوى
ويكابد هذه النفس وينفي هذه الشهوة الهائجة في قلبه ويعلم من يعامل ولمن
يعمل له وثواب من يطلب • ويجعل العمل بهيجان الرغبة في ثواب الله تعالى
وهيجان الرهبة من عقاب الله فانه ان عمل على ذلك عمل العمل بشهوة وخفة
ومحبة لما قد هاج من رغبته ورهبته فازال عنه ما ذكرنا من الافات التي تفسد
الاعمال فاذا عمل على ذلك فكانما جمع له الهوى والصدق جميعا ولا يبالي
اذا كان هكذا موافقة الهوى او مخالفته وما عليه من مخالفة الهوى اذا سلم
من شره وكان لا يضره فكانما وافقه فلا بد من ان يوقف العبد ويتبين على
عمل ولمن عمل وما اراد بما عمل • والارادة ارادتان احداهما للدنيا والاخرى
للآخرة فالصدق والاخلاص انما هو اذا اراد العبد بعمله وجه الله وليس فيه
شيء من معاني الدنيا • والرياء انما هو ان تكون الارادة كلها للدنيا فمنه
ما يكون العبد يريد بعمله في اصل العمل المحمدة والثناء ومنه ما يكون يريد العبد
في اصل عمله وجه الله والدار الآخرة ويحب ان يحمد بعمله ويثنى عليه به ومنه
ما يكون العبد يريد بعمله وجه الله وحده والدار الآخرة فاذا دخل في العمل
على ذلك الاخلاص عرض له بعض ما ذكرنا من الافات فقبلها واحب ان يحمد
على عمله وان يتخذ به منزلة عند احد من المخلوقين ومنه ما يكون العبد يريد
به وجه الله والدار الآخرة ويختم عمله بذلك ويطالبه الافات بعد الفراغ
من العمل ولو بعد حين حتى يخبر بذلك العمل يريد ان يحمد عليه ويتخذ به الجاه

والمنزلة عند المخلوقين فهذا أسهل من جميع ما ذكرنا ونحن نخاف أن يحبط العمل
به والناس في هذا مختلفون • ففرقة يقولون هذا من الذنوب ولا يفسد
العمل لأن العمل قد مضى وختم بالصحة فلا يفسد بعد خاتمته وما لحق العبد بعد
ذلك فبقيته من هذه الآفات فليتق الله في ذلك على العبد سقام ومطالبة والعمل
لا يبطل • وقالت فرقة يبطل العمل ولو بعد حين إذا قبل العبد الآفة وأحب
المحمدة وأرضى المخلوقين في عمله وأحب عندهم المنزلة والثناء والجاه قلت
فأخبرني إذا هم العبد بعمل البر وعمله وفرغ منه ولم يذكر قبل عمله ولا بعده
إرادة الآخرة وكان ناسيا ساهيا عنها أليس هذا عمل بلا نية ولا صدق قال
بلى قلت وكيف يكون عمل من أعمال البر مما يراد الله به بلا نية ولا صدق
وقد عمله العبد قال إذا لم يكن الصدق ولم يقدم النية فليس بشيء لأن النبي
صلى الله عليه وسلم يقول الأعمال بالنية فإن قلت إني نسيت النية وسهوت
عنها فهذا إقرار وليس لك حجة وإنما أنساك النية الدنيا وإرادتك العاجلة لها
أوليس بلية آدم عليه السلام كانت من النسيان وقلة العزم أولا تسمع لقوله تعالى
ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما وأنا لا أقول إن العمل يكون عملا
كما أمر العبد أن يعمل إلا بصدق نية وصحة إرادة وتقدمهما أمام كل عمل فهذا
هو عندي العمل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الأعمال بالنية واعلم أن
وقوفك عند افتتاح العمل وذكرك الصدق وتصحيح النية والإرادة وحذرك
من الرياء وذكرك الجنة والنار وليس يزيد في صدقك ولا ينقص من برك
حتى تستعمل التقوى وتقدم النية وتصدق في الإرادة فلا تغتر ولا تخدعن
في ذلك الوقت فإن الإنسان يحب اسم الخير ويكره نفس الخير ويكره اسم الشر
ويحب نفس الشر فما أحب إلى الإنسان اسم الصدق وما أثقل عليه نفس الصدق

وما أشد

وما أشد بغض الإنسان لاسم الرياء وما أحبه إليه وأخفه عليه وأشد استعماله
فلا تتساهل في ذلك الوقت عن ذكرك النية فإن الصدق والنية أساس وتفسيرهما
الإرادة الصادقة وإن النفس والهوى يجتنبان ثمرة العمل بحلاوتهما واعلم
أن لذتك فيما تجد من حلاوة طعم الحلوى وغير ذلك كما تجده عند الأكل
إذا أكلته وحلاوة الهوى والشهوة في الفكر إذا ما بعثته على ما تريد ليس له
طعام ولا شراب كما لذته من الأشياء أن يتابع في فكره وإليه واعلم أن لذة
الرياء وحلاوته لذة تخالط القلب وتجري في العروق فاحذر ذلك في ابتداء
أول العمل وفاتش الهمة وتقصى تصحيح الإرادة وكن في ذلك كله مراقبا لله
وحده قلت إذا أردت أن أعمل العمل وقفت قبل الافتتاح فراجعت
نيتي وإرادتي فرأيت الرياء قد سبق الصدق ورأيت الصدق غائبا عني
فأردت أن أنقل الإرادة لحقيقتها إلى الصدق والصحة وحسن النية وأن
أنفي الهوى بكليته ورياءه وشهوته فمتى أعلم أني قد فعلت ذلك وأثبت
منه على ما أردت وقد ذكرت أن ذكر النية والصدق لا ينفعني حتى يكون
تحقيق الإرادة قال لأنهما لا يجتمعان في قلب واحد ثم قال ربما اجتمع أسماهما
ولا يجتمع أنفسهما فإذا لم ترد النفس وتشتهي ما كنت أنت تريد وتشتهي من
إرادة الله تعالى بذلك العمل والدار الآخرة فقد علمت أن هذا قد حضر
وذلك قد غاب كما كنت تعلم أن الرياء حاضر والنية غائبة وإن اشتبه عليك
الذي وصفت لك فانقض الأمر كأنك لا تريد أن تعمل البتة واصدق فيه
فإن علمت أنك قد صدقت بنقضك له فابتد بناءه من الرأس فإن وجدت
من نفسك الرضى والسكون بنقض العمل وتركه فإنه علامة حضور الصدق
وغيبة الهوى والرياء وإن وجدت كراهية النقض والترك فاعلم أن الهوى

يقتدي به قلت اضرب لي فيه مثلا يكون ابين من هذا قال مثل رجل همّ
ان يتخذ طعاما يدعو اليه اقواما فراجع نفسه ودعوته فاذا هو يريد ان يدعو
فلانا لشيء كان وافقه منه واذا هو يريد ان يدعو الآخر يريد ضربا من الاصطناع
وان يتخذ به ويخضع له واذا هو يريد ان يدعو الآخر ليستعين به على ظلم واذا
هو يريد ان يدعو الآخر ليصيب منه عرضا من الدنيا واذا هو يريد ان يدعو الآخر
فيحمده ويثني عليه ويبسط ذكره واذا هو يريد ان يدعو الآخر ليجالسه ويزاوره
ويدع مجالسة ومزاورة غيره واذا هو يريد ان يدعو الآخر ليحسن لقاءه ويلقاه
به واشباه ذلك مما ليس لله سبحانه فيها شيء وانما هي كلها للدنيا فلما استبان
له من نفسه هذا ولم يكن ارادته وجه الله وما يرجو من ثواب الله على اطعامهم
فقال في نفسه لا ينبغي له ذلك لا ولكني اترك الارادة الاولى واحضر
ارادة ثانية اريد بها وجه الله والدار الآخرة ثم قال فلعلي خدع في هذا
وانا لا اشعر لا ولكني ادعو مكان هؤلاء قوما آخرين اقدم فيهم النية والارادة
الصحيحة امام الطعام او لا ادعو احدا فان رأى نفسه عند ذلك نازعة الى ان
يدعوهم فكراهية النفس ترك دعوتهم ومحبتها لدعوتهم علامة انه غير
صادق وانه مخدوع وان سكنت الى الترك ورضيت به فهو من علامة الخير
فينبغي له عند ذلك ان يعمله ويمضي فيه فان شاء دعاهم وان شاء دعا غيرهم
بنية جديدة وان الخداع والغلط والخطأ والعمد والنسيان والفتن والبلايا
في هذا الباب من اخلاص العمل وصدق الارادة وتقدم للنية في هذا الباب
شديد والبلاء فيه كثير ولشدته اعطي العبد على العمل القليل بالاخلاص ثواب
الكثير وآفاته اكثر من ان تضبطها الكتاب وصحته اعز من ان يبلغها الانس المغتر
المخدوع بظاهر الكتاب وظاهر العلم وانما يدرك ذلك كله ويعرفه اهل العناية

بانفسهم

بانفسهم الذين قد خافوا على اعمالهم ان تبطل وخافوا على انفسهم ان تتلف •
ولا ينبغي للعاقل ان يفتر عن مفاتشة همته ومحاسبة نفسه وتفاتيشها ومراقبته
سبحانه عند كل عمل يريد ان يعمله والا فهو مخدوع والله نسأل التوفيق والفهم والعزم
الصحيح والارادة الصادقة واعلم ان السهو والنسيان والغفلة عن هذا العلم
الذي به تصفو الاعمال جهل شديد واغترار وقلة عناية بالنفس وقلة مبالاة
باطلاع الله تعالى على فساد العمل ومن بين هذه الخصال المذمومة التي ذكرنا تجب
الهلكة ونحن نسأل الله سبحانه السداد والرشاد والعون على القيام بما قد علمنا
والشكر على ما قد فهمنا ونسأله ان يزيدنا من فضله انا اليه راغبون ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم ❁ بسم الله الرحمن الرحيم ❁ يروى عن بعض الحكماء انه قال
اذا ظن بك الناس انك تعمل عملا من الخير ولست تعمله او كنت تعمل شيئا من الخير وظنوا
انك تعمل اكثر منه فكرهت ان يطلعوا على عملك فانت ممن تحب ان تحمد بما لم تفعل
وان احببت ان يطلع عليه فانت تحب ان تحمد بما قد فعلت • وقال علامة
حب الله حب جميع ما احب الله وعلامة الخوف من الله ترك جميع ما كره الله •
وعلامة الحياء من الله ان لا تنسى الورود على الله وان يكون مراقبا لله في جميع
امورك على قدر قرب الله تعالى منك واطلاعه عليك • ومن علامة حسن
الظن بالله شدة الاجتهاد في طاعة الله • وعلامة الناصح لله شدة الاقبال
على الله وفهم كتابه والعمل به واتباع سنن نبيه صلى الله عليه وسلم وان يحب
ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى • وعلامة النصح للناس ان تحب لهم
ما تحب لنفسك من طاعة الله تعالى وان تكره لهم ما تكره لنفسك من معصية الله •
وعلامة الصبر ان لا تشكو من جميع المصائب الى احد من المخلوقين شيئا ❁
والصبر هو الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية والصبر على كتمان المصيبة وهو

من كنوز البر والصبر على كتمان الطاعة والصبر حبس النفس عن ذلك كله ••
ومن علامة الرضى عن الله الرضى بقضاء الله وهو سكون القلب الى احكام
الله والتفويض الى الله قبل الرضى والرضى بعد التفويض • ومن علامة
صدق الرجاء شدة الطلب والجد والاجتهاد ليدرك ما رجا • ومن علامة
معرفة النفس سوء الظن بها • ومن علامة الشكر معرفة النعمة بالقلب انها
من الله لا من غيره والحمد لله عليها باللسان والاستعانة بها على شيء مما يكره المنعم
قلت فما تصديق معرفتي هذه قال القيام بالمكافاة بها وان كانت لا
تكافى ولكن اعطاء المجهود في شكرها • ومن علامة معرفة الدنيا الترك لها
والزهد فيها والوحشة منها وممن ركن اليها واحبها واثرها وعظم قدرها
ومن علامة معرفة الآخرة هيجان الرغبة فيها وشدة الشوق اليها والانس
بكثرة ذكرها ومواصلة من صدق في العمل لها • ومن علامة العقل حسن التدبير
ووضع الاشياء مواضعها من القول والفعل وتصديق ذلك ايثار الاكثر
على الاقل • ومن علامة العدل ان لا تجعل الحكم حكمين فتحكم لنفسك بحكم وللناس
باخر حتى يكون الحكم في نفسك وفي غيرها حكما واحدا وانصاف الناس من
نفسك • ومن علامة التواضع ان لا يدعوك احد الى حق الا قبلته ولم
ترده ولا ترى احدا من المسلمين الا رايت ان نفسك دونه • والناس
يتفاضلون في المعرفة بالايثار والرضى والشكر والحب والثقة والخوف واليقين
والصبر وادنى الدرجات الصبر واكثرها كلها اليقين • ومن علامة حسن الخلق
احتمال الاذى في ذات الله وكظم الغيظ وكثرة الموافقة لاهل الحق على الحق
والمغفرة والتي هي عن الذلة • ومن علامة سوء الخلق كثرة الخلاف وقلة
الاحتمال • ومن علامة الالفة قلة الخلاف وبذل المعروف • ومن علامة الصدق

ارادة

ارادة الله وحده بالعمل والقول وترك التزين وحب ثواب المخلوقين والصدق
في المنطق واطيب العيش القناعة والعلم خشية الله وهو ايثار الاخرة على الدنيا
ومعرفة الطريق الى الله • وصلاح القلب الرافة والرقة • وفساد القلب
القسوة والرحمة • والذ العيش الانس بالله والعزم اجتماع الهمة • واشر
الشر الذي لا خير فيه ولا قوام للخير معه الكبر وخير الخير الذي لا شر فيه التواضع
وهو ان تضع نفسك دون الناس والكبر ان ترفعها فوق الناس • واكبر
العبد اثر على التواضع شيئا • والحزم الفرار من كل موضع فيه محنة • والصبر
مخالفة المحبة ولا يصعب مع قوة الصبر شيء من العبادة حتى ترتفع من درجة
الصبر الى درجة الخوف • ثم من درجة الخوف الى درجة المحبة كما لا يطيب
للعبد اعطى شيء من الدنيا الا بالقنوع كذلك لا يطيب له عمل الاخرة الا بالخوف
والمحبة فاذا صار العبد الى ذلك سقط عنه مؤونة الصبر وتنعم بالخوف
والشوق قلت فباي شيء ينتقل من درجة الصبر الى درجة التنعم قال بحسن
المعرفة قلت فما حسن المعرفة قال افتقار القلب الى الله واقترابه منه •
ومن دار الاخرة حتى كانها راي العين وجعل الذنوب التي سلفت منه فيما
بينه وبين الله نصب عينه وجعل النعم التي قد انعم الله عليه بها التي لا يحصيها
ولا يقدر على شكرها في اقرار قلبه بذلك واجلال الله وتعظيمه وقدرته ووعيده
واهوال القيامة وما بعده وما قبله من البرزخ والموت فاذا استقر ذلك
في قلبه وسكن القلب الى ذلك كذلك نار القلب وعمر بعد الخراب واضاء
بعد الظلمة وتيقظ بعد الغفلة ثم لانت المفاصل عند ذلك وتوثبت الجوارح
الى الطاعات فعند ذلك تسقط مؤونة الصبر ويصير في درجة الخوف
والمحبة للعبادة وعند ذلك تجد حلاوة ما هو فيه فتلك العبادة بحسن المعرفة

فلا يزال كذلك حتى يعرض له من دواعي الدنيا ووساوس النفس ما ان مال اليه
قطعه عن تلك الحلاوة وردّه الى درجة الصبر ولساعة واحدة من تلك الساعات
خير من ايام كثيرة من ايام الصبر لان فيها الخوف وفيها الحب وفيها الشكر
وفيها الندم وهو التوبة وتعظيم ما عظّم الله وتصغير الدنيا والانس بالله
فلا يحتج صاحب هذه الدرجة صاحب الصوم الكثير والصلاة الكثيرة والحج
والغزو وهذا العمل اذا كان بالمعرفة القوية قلت فاين المريدون عن هذه
الدرجة لا يكون اهتمامهم وعنايتهم بها اكثر من عنايتهم بغيرها من الدرجات
فقال هذه الدرجة في الدرجات كالجوهر في الاشياء وكاللؤلؤ الفائقة في الف
لؤلؤة والجنس واحد وانما قل اهل هذه الدرجة وعزّوا لأن من الاشياء ما
صعوبته في المسلك اليه فاذا صرت اليه صرت الى سهولة ورخاء وانس •
ومن الاشياء ما سهولته وشهوته في طريقه وصعوبته وشدته في نفس ذلك
الشيء اذا صرت اليه والعامة يعنون بالشيء الذي فيه السهولة فاذا صاروا
الى الشدة والمرارة كاعوا وتحيّروا وحسروا وقد كانوا قبل ذلك يسرعون اليه
لما فيه من السهولة اولا تراهم كيف يطلبون العلم فاذا صاروا الى استعمال العلم
والورع لا ترى من يشتغله ولا من يريده الا الواحد بعد الواحد او لا تراهم
يتعلمون للسير ويتصابون للجهاد فاذا صاروا الى شروط الجهاد لا تكاد ترى من
يقوم بعمله وتلك الدرجة شديدة في الطريق اليه ولا يرى في طريقه الا الواحد
بعد الواحد من الكثيرة فلذلك قل اهل هذه الدرجة وكثر طلاب غيرها من الدرجات
لانها هي الدرجة التي استعبد بها العباد وهي درجة الصدق وصار علمها
علما مهجورا وصار الناس انما يريدون من العمل ما خف محمله وقل فيه مفاتشة
النية وتفقّد الضمير والتوقف ومحاسبة النفس ومخالفة الهوى ومجاهدة العدو

واعلم ان

واعلم ان رضى العبد بالحالة التي هو عليها وتقسيم ضعف وبلية نزلت به •
وقال المحب منازع الى القربة ابدا ما عاش والخائف متعرض للنجاة فلما استيقن
بالرحيل صار متحاوعا لنفسه ومؤثرا لما قدم على ما خلّف • ولا اعلم في الناس
شيئا اقل من الغضب لله تعالى والرضى لله والحب لله والبغض لله واقل من
ذلك الرضى عن الله تعالى والتسليم لامر الله وتفويض الامور الى الله واكثر سلاح
الناس من الشر بالصبر واكثر طلبهم للخير بما وافق الهوى والاسلام في اكثر النعم
مخالفا للشكر واقرب خصال الخير من الله اثقلها على العبد ولو فعلها بشكر كان
اقربها الى الله احبها اليه • فهذا العبد يرجو رحمة الله باليسير من البر كما يرجو
بالكثير من البر سواء ويخاف سخط الله باليسير من الذنوب كما يخاف سخطه بالكثير
من الذنوب سواء • ولا يكون حسن الرغبة في كثير الحسنات الا كانت في القليل
كذلك • وقال ان اردت ان يصلح من امرك شيئا فاشتد عليك فتخلّ عن جميع
اعمال البر من التطوع واجعل شغلك كله فيه فانك تعان عليه ان شاء الله •
وقال الناس يعملون على اربع وجوه فاشرفها وافضلها قوم عملوا لله على التعظيم
فحسنت اعمالهم وكرم فعالهم على اجلّ عظمته في صدورهم وعظم قدره في قلوبهم
فلم يكن شيء احب اليهم ولا الذ عندهم من شيء يتقربون به اليه • وآخرون
عملوا على وجه الرغبة والحرص على جواره فلم تكن لهم همة الا ترك ما نهاهم
عنه لعظم ثوابه وخافوا فوات خير ما عنده من عظيم ما اعد من الثواب لاهل
ولايته • وآخرون عملوا مخافة منه ومن عقابه فكانت همتهم الرهبة من العقاب
قد حالت بينهم وبين الرغبة في الثواب وكانت الاعمال منهم على وجه الفرار
من العقاب ليس يخطر الثواب على قلوبهم لعظم العقاب في صدورهم ويقولون
في انفسهم ليس بلغتنا اعمالنا الى الخلاص من العقاب لقد ظفرنا بالفوز العظيم •

فخرجت الرغبة منهم من كثرة الرهبة فما تخطر الجنة في قلوبهم من عظم العقاب
في صدورهم • وآخرون عملوا على وجه الحياء من الله سبحانه استحيوه في
ليلهم ونهارهم اذا غلقت الابواب وارخيت الستور عليهم لما ايقنوا انه هو
الذي يرى غرضهم وسرائرهم فاستحيوا من كل قبيح يعملونه في سرائرهم حتى
كانهم اليه ينظرون لما استيقنوا بنظره اليهم فقالوا سواء علينا نظر الينا او نظرنا اليه
وايقنوا انه اقرب اليهم من حبل الوريد فلما ايقنوا بذلك حال يقينهم وبين
مثاقيل الذر وموازين الخردل مما يكره المطلع عليهم وكان الحائل بينهم وبين
اعتقاد القلب على شيء مما يكره سيدهم معرفتهم بانه مطلع في ضمائرهم
وينظر اليهم في كل حركة تكون منهم وكل سكون وكل خطرة وكل طريقة وكل
همة وكل ارادة وكل نية وكل محبة وكل شهوة • واما نحن فلم نهتج على عمل
التعظيم له ولم يهيج رغبتنا في عظم الثواب فنقرب بحسن الفعال ولم يزعجنا
الرهبة من العقاب الى ترك مساوي الاعمال ولم نحل الحياء منه بيننا وبين قبيح
الاعمال فيما بيننا وبينه فنفس الشأن الذي من عليهم ان يمن علينا بما من به
عليهم وان يهب لنا مثل فعالهم فانه فعال لما يريد • وقال الصدق عند العبد
على قدر ارادته والشكر عنده على قدر موقع النعمة منه • بسم الله الرحمن الرحيم •
يروى عن بعض الحكماء انه كتب الى اخ له سلام عليك اما بعد فاذكر ما انت
عنه زائل وعليه قادم واليه صائر لذكر من نظر فاعتبر واخذ حذره وازدجر
ويعوذ بالله من موت القلب عن شدة العناية للسداد والرشاد وحسن الاستعداد
للمعاد فلو فكر العباد وعلموا انه لا يسعهم ان يردوا على الله الا بحالة فيها رضى
علموا او جهلوا وان لا يطلع تعالى على ضمائرهم فيرى فيها شيئا مما يكره وان يكونوا
نادمين على ما كان منهم مما لم يكن فيه رضاه مما علموا او جهلوا اذا لاجتهدوا كل

حاربه

يخاف الله منهم العقاب ان يكون لجهلهم معذبا ويعذبهم معمولا به وان
يكونوا نادمين على ما فاتهم من ذلك • واعلم يا اخي ان الله سبحانه جعل نجاة العباد
برحمته في المعرفة ثم في الارادة ثم في ترك ما امرهم بتركه ثم في العمل بما امرهم به
ثم في شكر نعمه التي انعم بها عليهم فما وحدنا ظاهرا وباطنا فاول ما اراد
تعالى من العباد ان يعرفوه من الوجوه التي تعرف اليهم منها فانه قد تعرف
اليهم من خلقه للخلق وتدبيره في الخلق ومن قدرته على الخلق وتكفله بارزاق
الخلق واماتته الخلق واحيائه الخلق الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين •
واراد منهم بعد المعرفة ان يريدوه بكل ما عملوا من اعمال البر لا يريدوا غيره
ولا يطلبوا الثواب الا منه فلو كان يمكن ان يكون قبل المعرفة شيء لكانت
الارادة قبل المعرفة ولو استغني عن المعرفة شيء لاستغنت الارادة عن المعرفة
فالمعرفة قبل كل شيء واصل كل شيء ثم الارادة وهي منها وهي تخفيف الترك
وتخفيف العمل والاخذ والاعطاء والحب والكره في الاعمال كلها وهي التي يعقد
منافع اهل الاعمال في اعمالهم والشكر على قدر النعمة • ثم مفتاح النعم وافضلها
كلها واولها وهي نعمة المعرفة ولا اعلم نعمة بعد نعمة المعرفة اعظم قدرا من نعمة
العقل ونعمة الارادة نعمة يقصر مبلغ شكرها واخر النعم نعمة الخاتمة فنسل الله خاتمة
خير ونسله ان يعرفنا جميع نعمه وان يوزعنا الشكر على ذلك فقد نال العبد
بالمعرفة والارادة من الخير والقرب من الله سبحانه ما لا يناله صاحب العمل الكثير وانه
ليس شيء اولى بالعبد بعد معرفة الله من معرفة ما يكره الله وهو الذي نهاه عنه
وتقدم فيه بالوعيد والزجر والتحذير ثم معرفة ما احب الله وهو الذي امر به
ورغب فيه فابلغ الاعمال بالعبد الى رضوان الله مفارقة ما يكره الله منه
ثم مباشرة ما احب الله تعالى وما رغب فيه • فانظر يا اخي اذا اصبحت فلا يكن شيء

احب اليك من ان تميت خصلة منها او تنفي عن نفسك مما يكرهها الله تعالى فانه يحيا
لك مكانها خصلة مما يحب الله وذلك بعد ذلك التضعيف من النور الساطع
في قلبك والفهم والحكمة واعلم يا اخي ان الدنيا منها حلال مباح ومنها شبهات
ومنها حرام فاذا كان في قلب العبد عقدة متمكنة من عقد حب الحلال المباح
لم ينقطع عنه مواد نوازع الشبهات والمكروهات واذا كان في قلبه عقدة
متمكنة من عقد الشبهات والمكروهات لم ينقطع عنه مواد نوازع الحرام وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه من وقع في الشبهات فاوشك ان يواقع الحرام
كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه • فكل من تمكنت الشبهات
في قلبه واطمان الى اخذها وقع في الحرام لان الشبهات اقرب الى الحرام
منها الى الحلال قلت فكيف يصنع الناس في معايشهم ومرافقهم وحوائجهم
فقال اني لم انهك عن كسبك وحوائجك مما تحتاج اليه منها انما احذرك
اخذ ما لا تحتاج اليه منها ونهيتك عن اعتقاد الحب لما تحتاج اليه منها حتى
تكون تاخذها من المباح وهي راغمة وانت عالم بها وبصغر قدرها عند خالقها
اذ يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى
واذ يقول نبيه صلى الله عليه وسلم لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة
ما سقى كافرا منها شربة ماء واعلم ان المعتقد لحبها وهو عالم بها لا يؤمن
عليه ان تستولي على قلبه فتملكه فياخذ بعد الحلال الشبهات وبعد الشبهات
الحرام واعلم ان المعتقد للحب وغير المعتقد يتباين منها على حاجتهما واعتقاد
حب الدنيا من الحلال وحشن في قلوب العارفين ولا يزيد ذلك في رزق المعتقد
ولا ينقص من رزق الذي لم يعتقد المحبة واعلم ان العباد انما امروا بالاشتغال
بالعلم من بحث وبالعمل بالاخلاص ولا تنال هذه الدرجة حتى تكون بحالة لو قدرت

ان تترك ما يحتاج اليه منها لتركته ∴ واما الشبهة الاخرى التي يكرهها الله
سبحانه فطلبك في القدر والجاه والثنا عند المخلوقين وخوفك من سقوط
منزلتك عند المخلوقين وذلك مما يسقط منزلتك عند الله عز وجل ∴
فاهل المعرفة بالله واهل الارادة يكرهون ان يراهم الله سبحانه وقد تخلفوا
من ذلك شيئا حملتهم المعرفة بالاجلال لله وايثار محبته على ان لا ينظر اليهم
سيدهم وفيهم شيء مما يكرهه في تبليغ علمهم فهم يكرهون ما يكره الله في
غيرهم فكيف يرضون به في انفسهم • ابت معرفة الله ان يساكنها شيء من
مكاره الله وابت الارادة ان تشتغل بغير ما احب الله قد اشغلتهم المعرفة
بالفكر في كثرة نعم الله عز وجل عليهم وعجزهم عن اداء شكرها مع عجزهم
عن احصاء عددها وباستكثار ذنوبهم وكثرة ذكرهم للحيا من الله ان يسلوه
الجنة فليس بخطرة الجنة لهم على بال قد حال بينهم وبين مسئلته اياها الحيا من الله
والخوف منه ومصيبتهم في انفسهم لما يخافون فوت رضوان الله عنهم وسخطه
عليهم اعظم في انفسهم واوجع لقلوبهم من فوت الجنة وخوف النار والذي
يجدون لما يلقي اليهم الشيطان من الخطرات وعوارض زينة الدنيا وحب التزين
لاهلها عند عبادتهم وطاعتهم وكثرة الفتنة والآفات التي تعارضها
لهم بذلك مغمومون مكروبون مخافة ان يراهم الله وقد تشبثوا لاحد بغيره •
فلا تكن يا اخي بشيء اعنى منك بالمعرفة والارادة فان الخير كله تبع لهما وهما
علامة نظر الله لعبده وبه نال الشرف ∴ ثم اوصيك يا اخي بعد ذلك بمراقبة الله
عند همك اذا هممت وعند كل حركة تكون منك وكل سكون وان تسمع من الله
وتعقل عنه فان في هذا القرآن الذي انزل علينا تبيان كل شيء وعلم كل شيء
فعليك بتدبره وتامله في الليل والنهار واعمل نفسك في فهمه والعمل به والا تسمع

لقوله تعالى وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا
كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض
ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر فلا تغفل عن مراقبة من لا يعزب عنه
أصغر من مثقال ذرة ولا تشبع ولا تمل منها فإنه تعالى لا يغفل عنك بنظر إليك
ويطلع على ضميرك ويحصي عليك مثاقيل الذر وموازين الخردل حتى يجزيك بذلك
ولا تشبع إلى قوله إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها
ويؤت من لدنه أجرا عظيما واعلم يا أخي أنه لا يكاد يحسن الشيء إلا بشيء قبله
وشيء بعده فأما ما به تحسن المراقبة قبلها فالانقطاع إلى الله ولزوم طاعته
بالمراقبة له في السر وفي العلانية وأما ما به يحسن الانقطاع إلى الله قبل الانقطاع
فأربعة أشياء التوبة وإيثار ما يحب الله على ما يكره وأن يكون به آنس منك بخلقه
ولا تفرح بما زاد لك من الدنيا ولا تحزن على ما نقصك منها وهي درجة أهل الورع
القنوع والذي تقويك على ذلك التصديق بوعد الله تعالى والثقة بضمانه وتنجيز
ما يكفيك منها ولزوم سرعة الانتقال عن الدنيا ● وأما إيثار ما يحب الله على ما يكره
فسبحانه ليس أحد أحق ولا أولى بذلك منه تبارك اسمه وهو إيثار محبته على هواك
وهو فرض على المدبرين عنه والاباق أن يرجعوا إليه ويقاتلوه وكيف لا يؤثر
من أراد القرب منه والانقطاع إليه وأما الأنس به فهو أن تكون به أشد أنسا
منك بخلقه فمن عرفه وعرف لطفه وكثرة أياديه وتواتر نعمه وبره وعطفه وتفضله
أنس به وكيف تراقب العبد من لا يعرفه أو كيف ينقطع إلى من لا يثق به ولا يأنس
به ● وأما الذي يحسن الشيء بعده فالشكر واشهد أنك لو عقلت ما تقول كنت
مريدا لهذه المنزلة لنظرت إليه بعين ما يعين المحزونين أن لا يقبلك وأن
يستقذر أذنك وسيرتك وأن يطردك عن بابه وأن تقدم عليه وتهتك

واستعن

واستعن في أمرك كله بالاعتبار فإن الأمر لا يزال مستورا منك وغائبا عنك
فإذا نظرت إليه نظر المعتبر كان أن يقوم لك الاعتبار مقام المخبر المعاين
لما قد غاب عنك ومقام الكاشف لك عن المستور عنك حتى ينظر إلى زين
الأمور وشينها وحسنها وقبحها وتعرف من أين صار الحسن حسنا والقبيح قبيحا
فتتبع من ذلك ما فيه نجاتك وتجتنب ما فيه هلكتك وتعرف الناس بالاعتبار
على مناظرهم في الحسن القول والحسن الفعل فتعرفهم ومنازلهم وتعد أصحهم بنور
الاعتبار ومواهب الإلهام إن شاء الله تعالى ● وعليك يا أخي بالاقتصاد
والحزم في أمورك كلها فإن الاقتصاد أرجى للنيات وأسلم من الآفات ●
والحزم ينفع أهله عند الشدة ولا يضرهم عند الرخاء فاستكثر من المعرفة ما قدرت
وليس المعرفة كالعمل للعمل حد ينتهي إليه وليس للمعرفة حد ينتهي إليه لأنك
تزيد بالمعرفة استكمال أمر الله وإقامة حقه ولا يبلغ ذلك أحد لأنه تعالى أجل
وأعظم من أن يبلغ الآدميون كنه حقه غير أنهم يتفاضلون فيه بزيادة المعرفة
ونقصانها مع المعرفة والأنس والروح والفرح والراحة فزيادتها نعمة من الله
ونقصانها عقوبة بذنب وتضييع شكر ● واحذر ما يكره الله من عملك ونيتك
وسرك وعلانيتك في الصغير كما تحذره في الكبير وإن كل شيء يفسد عليك مثقال
ذرة فإنها قد تفسد عليك مائة ألف دينار والدنيا كلها مثل ما أفسد عليك
مثقال ذرة فإذا استوى لا فصل بينهما ثم هكذا في سائر الأعمال إلى الفساد
على كثرتها كما يأتي على قلتها سواء ● وارغب في الصغير من الكثير كما ترغب في
الكبير رغبة واحدة فإنه يقبل القليل من العبد كما يقبل الكبير قبولا واحدا سواء ●
وهكذا في سائر الأعمال وكفى بقبول الله الصغير من عبده لعبده فوزا مع أن
أعمال بني آدم كلها صغار إلا ما قبل الله منها فإذا قبل الله منها شيئا صار عظيما

وان كان قبل ذلك صغيرا واعلم ان صغارها اسلم لك من كبارها من الرياء والاعجاب
والافتنان وانتبه لذلك ولا تغفل عنه واعلم ان لك في عملك ارادة واعلا
فانظر ارادتك في اعمالك كارادة اهل الشكر والرضى واعلك فيه من المسرفين
على انفسهم فليس شيء احب الى اهل الرضى من شيء يرضى الله به ولا شيء احب الى
اهل الشكر من شيء اشكر من الله عليه ولا شيء اولى باهل الاسراف على انفسهم من
شيء يرجون به عفو الله واعلم يا اخي اني لست من قلة العمل اخاف عليك وعلى
مثلك ولكن اخاف عليك من قلة المعرفة وضعف الارادة لا اجد لي اخاف
عليك وعلى مثلك من قلة التطوع ولست اخاف من الورع ان لا تنظر فيه كما
تنظر غيرك او ان لا تترك شهوات احلها الله لك وتؤثر بها عليك غيرك
الا ان الذي اخافه عليك ان تنازع في امر يكرهه الله ولا شفعك قد خفي
عن الناس وهو عند الله ظاهر فيفسد عليك جميع ما اردت وارى ان لك
فضلا على غيرك فيحبط ذلك جميع ما كنت فيه واخاف عليك ان لا تقوم بصيانتها
كما تقوم بالعمل بها فيهدم ذلك جميع ما كنت فيه وما بنيت عليه ولا تؤدي حق
عليك من الشكر فيها فيلزمك من الذم في كفران النعمة اكثر مما رجوت من الحمد
فيها او يكون تدل على الله عز وجل بعملك فيسقطك ذلك من عين الله وتمتن
على احد او تؤذي بسببه احدا فقد علمت ما قال الله عز وجل في ذلك يا ايها الذين
امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس الاية •
وربما يعزم على العمل الذي اراده فلا يجده كما وجده بعزيمة من عزم عليه •
قلت ما بال الرجل يأتيه الامر مما يحب من غير طلب ولا عزم عليه حتى ربما خاف
من عزه ان يكون عليه اكثر مما يكون له قال هذا من الذي قلنا لا يصلح الشيء الا بشيء
قبله وشيء بعده فاذا لم يكن عزم بعزيمة كان عاقبته نحو الذي ذكرت معرفته

ان يكون بدؤه بالاستغفار الى الله سبحانه ولا يكون كالتاني على الله والتوكل
ان يفرد باشعار قلبه في تفويض المقدرة الى الله سبحانه والتبري من الحول
والقوة او لا تسمع لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله فهذا زيادة على التوكل امر امرك به وقوله تعالى وشاورهم في الامر
فاذا عزمت فتوكل على الله والمشورة من الحاجة لان من الغنا امر الله نبيه صلى الله
عليه وسلم ان يستعين بمن ليس هو مثله وان يتبع سنته لمن بعده
فكيف لمن هو مثلي ومثلك اذا انتهيا عن الله فيما لا يسعه الا التضرع اليه
او لا تسمع لقوله عز وجل في قصة يعقوب ان الحكم الا لله عليه توكلت
فكان عاقبة يعقوب تمام ما اراد وقول يوسف قال رب السجن احب
الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين
فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن وتمم له امره حين اخرج نفسه من
القدرة واقر بالافتقار وفوض الامر فيه الى ربه • وقول الاخر لئن
انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فسالوه ولم يفوضوا اليه امرهم لا قبل
المسألة ولا بعدها قال فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض ولم يتم لهم
امرهم • وقول الاخر ايضا لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما
اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما ثم انظر الى قول ادم حين تقدم
على حمل الامانة بغير افتقار ولا استكانة فلم يتم له امره وعير بالجهل والظلم
وماذا يغني العزم عن الذي ليس بيده الامر • قال ومن لا يكون عالما بما يرد
عليه من الله يوشك ان لا يكون عالما بما يرد على الله تعالى منه واعلم
يا اخي انه من اطاع الله ولم يخفه فقد اطاعه في العمل وعصاه في ترك الخوف
فكيف من يعصيه ولا يخافه • وقال لو انك لم تاخذ من الدنيا الا قوتك

غير انك لم ترد الله به قطع بك ولو تركت قوتك من الدنيا ولم ترد الدنيا لقطع
بك • وقال لو عقلت عن الله امرين لنظرت اليه بعظيم الشكر له حيث
لم يجعل دعاه الى الجنة في ترك ما تحتاج اليه من الدنيا ولم يجعل دعاه الى النار
في حاجتك منها • وقال اعرف النعمة تمكن من اهلها فان البهيمة لا تجد رائحة
المسك وان حشي به منخرها • وقال كن من ابناء الحق يحببك الحق • وقال اجعل
نفسك تابعا في طريق الهدى ولا تجعلها قائدا الى طريق الهوى • وقال
احذر شهوة لا تبقى وندامة لا تفنى • وقال انيسك اليوم هو انيسك في
قبرك وعملك اليوم هو عملك غدا فانظر من انيسك وما عملك • وقال
ما ترك الحق لاهله في الدنيا سرورا ولا ابقى الباطل لاهله من الآخرة نصيبا
وقال احفظ الله عند هواك يحفظك عند لقائك • وقال نعوذ بالله من عمل
ظاهره طاعة وباطنه معصية • وقال من علم ما بين يديه هان عليه ما في يديه
وقال اذا ملكت معرفة الرجل بالدنيا تحجب من ابنائها واذا عمي عن معرفة
الآخرة تحجب من ابنائها • وقال من عرف الدنيا قاطعها ومن لم يعرفها انقطع
اليها ومن عرف الآخرة انقطع اليها ومن لم يعرفها قاطعها • وقال اقل الشهوات
لك نفعا في الدنيا اضرها عليك في الآخرة واقل شهوات الآخرة مؤونة عليك
في الدنيا اردها عليك نفعا في الآخرة • وقال اعبد الله بارادتك فيك
بين ان تعبده بعملك على قدر ما اراد الله العبد في الدنيا للآخرة يستحق
الشيء في الآخرة • وقال ما ايسر الامر على من احتسب نفسه عن مناقشة اهل العلم
في غيهم قد هدي الى المرتقى الذي ارتقى منه المحبون لقرب الله عز وجل •
وقال اختيار العبد للعبودية شفاء وبرد على الفؤاد وجلاء للبصر • وقال طلب
العبد للحرية بلاء وداء يغشى منه البصر • وقال العاقل الناظر عمله على المحنة والعاقل

التاسع غير الناظر عمله على الاشتغال فاعمل عمل من سمع ففهم ونظر فابصر
ولا تعمل عمل من سمع ولم ينظر • وقال رب نعمة تصير عقوبة ونقمة ورب
عقوبة تصير نعمة • وقال ان اردت ان تحب شيئا فاكثر ذكره فان الذكر
والنسيان لا يجتمعان • وقال الجنة الصادقة المشكورة يثاب عليها صاحبها
في الآخرة ويزاد منها في الدنيا يزاد للشكر ويثاب للصدق • وقال انفع
العبادة ان يعامل العبد نفسه باستصغار الدنيا عندها • وقال من احسن
العبادة ان يمتلي قلب العبد من حب الطاعة ويفيض فاذا فاض عملت
الجوارح على قدر ما راث من القلب فربما كانت الجوارح في العبادة والقلب
في البطالة قلت وكيف عبادة القلب دون الجوارح وكيف يفيض القلب
بالعبادة الى الجوارح قال ان يصير وعاء للحزن والهم والافتقار والخوف
والندامة والتواضع والاضطرار الى الله عز وجل والنصح له وحب ما يحب الله
وبغض ما يبغض فاذا عامل الله على هذا بقلبه هاجت الجوارح بمثل ما راءتم
القلب فانبعث على الطاعات وانما يكون ذلك من القلب اذا خالطه
ما يأتي به الجنة والباب الآخر ان يمتلي قلبه من معرفة نعم الله تعالى وسروره
بالله وانسه بعبادة الله وشوقه الى محاب الله وحبه للشكر لله ورجاء
مغفرة الله فاذا عامل الله بهذا من قلبه اشتغاف الى عبادة الجوارح معه فيكون
عاملا وفي عمله انس وسرور وحلاوة • قال ومن اشرف العبادة ان
تراقب الله بما يحب الله فاذا فترت عن ذلك رافقته بما لا يكره منتها العود
الى الحالة الاولى التي كنت عليها حريصا على ذلك تائقا اليها حنينا شديدا
فانه اذا رآك كذلك تحق وتحرص رد عليك ما سلبك • قال وفي هذه المسئلة
وفي التي قبلها وفي جميع الاعمال على العاقل ان يعرض ما على القلب وما على الجوارح

يبدأ بها على القلب ثم بعد بها على الجوارح فان القلب هو الاصل والجوارح اغصان
ولا يقوم الاغصان الا بالاصل قال ومن احسن الاخلاق ان يكون سجية العبد
التواضع ومن احسن الفعال الاحسان الى من اساء اليك • وقال اجتهد ولا تياس
ولا تقل عند ذكر الصالحين لولا ذنوبي لرجوت طريقة الصالحين فيقعدك
ذكر ذنوبك عن العمل فان صاحب الحمل الثقيل اولى ان يجتهد في اسقاط ما ثقل
من المخف الذي ليس على ظهره شيء • وقال ان اردت ان ينظر الله اليك
بالرحمة فانظر انت الى الصالحين بالغبطة والى العاصين بالرافة • وقال
اذا وقع في قلب العبد الاهتمام بالنفس اشتد خوفه عليها وعظم رجاؤه للناس
واذا خلا قلبه من هم نفسه حسن ظنه بها وعظم رجاؤه لها وخاف على الناس
وقال من طالت فكرته في اربعة اشياء اورثته الحزن والهم وهي تودي بعضها
الى بعض وكل خصلة منها كافية اذا فكرت في علم الله فيك واين اسمك
في ام الكتاب وبما ذا الختم لك واذا ذكرت ذنوبك • وقال من طالت فكرته في
اربع خصال اورثته الخوف والخشية وهي تودي بعضها الى بعض وكل واحدة
منها كافية من فكر في الموت وسرعة انقضاء الاجل والمصير الى القبر والوقوف
للحساب والنار التي لا صبر لاحد عليها • وقال لا تنازع الله في محبته فيكون
قد عاملته بالغلبة وقال لا تؤثر على الله احدا فيكلك الى من اثرته عليه •
وقال الى متى تعد الشغل عونا • وقال ان لم تترك ما يعنيك اتى عليك
من يغويك • وقال ان اردت ان تقسم صدقة او معروفا في الناس وفي
سواك قريب منك فانما تبدا باقربهم منك منزلا واشدهم الى صدقتك
فقرا ثم الذي يليه ثم الذي يليه ولم تذكر بصدقتك من تبعد عنك واستغنى عن صدقتك
فقرب باخي منه لكن اسم الله واكشفه عن فقرك اليه ينالك معروفه في الدار

من بال

من بال فافهم يا اخي ان كنت تفهم • وقال لو كان لك عبيد اردت عتق
بعضهم اليس انما كنت تبدا باعداهم سيرة وانصحهم لك واخدمهم • وقال انك
ان لم تترك ما يكره الله لم يذكرك فيمن يحبه • وقال ابذل لله ما اغناك عنه
يبذل لك ما لا غناء بك عنه • وقال من كان يحب القرب من الله فليترك ما يباعده
من الله تعالى • وقال اجعل بصرك بين يديك فان الذي وراك قد جزته •
وقال انك لو رايت من باع نصيبه من الآخرة بنصيب غيره من الدنيا لتعجبت منه
فبع انت نصيب غيرك من الدنيا بنصيبك من الجنة فان الذي يبقى منك انما
هو رزق غيرك • وقال لا تطلب المحمدة ممن يموت فتترك المحمدة ممن لا يموت
وقال اترك خوف الدنيا لامن الآخرة واطلب امن الآخرة بخوف الدنيا •
وقال اذا عرضت لك شهوة فاذكر العاقبة فكم من شهوة ذهبت عنك لذتها
وابقت عليك حسرتها • وقال ان الذي يفسد عليك الآخرة هو الذي لا تحتاج
اليه في الدنيا فما راحتك اليه • وقال لو رايت رجلا بين جماعة وكل واحد
يكيده بالوان المكايد ثم لم تره يتضرع ويستكين وينقطع الى من يرجو به نجاته
لسفهت رايه وعقله فلا تكونن انت هو • وقال ما وجد احد من صاحبه رائحة
اطيب من رائحة حسن الخلق • وقال ان لك في خصال ثلاث شغلا عن ما سواها
في مراقبتك ربك ومحاسبتك نفسك وتذكرك ذنبك • وقال اصرف عنك
عوارض الشهوات بالحزن والندامة على الشهوات الماضية التي قد انقضت عنك
لذاتها وبقيت عليك تبعاتها والق عن قلبك هم الرزق تصديقا لوعد الله
تعالى والزم قلبك الخوف حذرا لوعيد الله وتواضع له افتقارا الى رحمته
واستصغارا لنفسك عند ذكر عظمته وانف عنك التزين للناس ايثارا
منك لمحبته واستوجب اسم الشكر على احسانه اليك بالمحبة منك لعبادته

واستوجب اسم الخوف منه بالكراهية منك للمعاصي واستوجب نعمة معرفته
بحبك لمراقبته واستوجب اسم الحب لمراقبته بالانس به دون خلقه • وقال
ان للناس منازل ودرجات فمن نظر بعيني قلبه ابصر درجاتهم ومنازلهم
في طريق الآخرة كما ابصر بعيني رأسه درجات منازل اهل الدنيا ولا يستحق
احد منزلة من منازل الدنيا والآخرة بمعرفة قلبه ولا بذكر لسانه ولكن بعمل
اهلها والقيام بشروطها كما لا ينفع الفقير معرفته بيسار الموسر وما يملك من
النعيم والوان الاطعمة والافرشة واللباس كذلك لا ينفعك معرفتك باعمال
الصالحين وانت غير عامل بمثل عملهم بل هو حجة عليك والله نسأل التوفيق بمنه •
• بسم الله الرحمن الرحيم • يروى عن حكيم انه سئل عن امتحان النفس
في الصدق حتى يعلم العبد اصادقة هي ام غير صادقة فقال اذا علم العبد
ان احدا حاسد له واحدا عدو له امل بعمله ثناء وجاها في الناس ويكون مستورا
على الناس عمله ويلزمه هو بعمله الخالص ريا عند الناس وسقوط منزلة عندهم
فان سخت نفسه بذلك واحبت نفاذ العمل فهو علامة الصدق حتى يرد على
اذنيه من ذم الناس له وافامه جاه حاسده وعدوه ما يعلم بطلانه فان لم
تحدث النفس عند ذلك خواطر الندامة ومضت على محبتها للعمل فبارك الله
فيها وهو والله الصدق بعينه وهو عامل لله حقا وعمله لما بعد الموت محضا
قلت له اخبرني عن قول الناس شكر النعمة معرفتها فقال شكرها معرفتها
بحقيقتها على قدر موقعها من قلبه بتعظيمها واحسانها من المنعم عليه بها ولا يكون
معظما لها حتى يكون راغبا فيها ولا يكون راغبا فيها حتى يعرف حاجته
اليها ولا يعقل حاجته اليها الا بتدبير عواقب الامور وسرعة المصير اليها
وشدة حاجته الى ما يقدم عليه فعند ذلك تعظم النعمة عنده من المنعم عليه بها

ويعرف امتنانه واحسانه اليه فيها فعند ذلك يشتهي الزيادة منها واذا علم الله
تبارك وتعالى ذلك منه زاده وفي الجملة انه من رزق شيئا يرجو به من رضاء الله
والنجاة من النار عظم في عينه ويتشوق القلب الى المعطي ولا يكون شاكرا
لنعم الدنيا يكون شاكرا لنعم الآخرة ولا لما تحب نفسه حتى يكون شاكرا لما يحب
الله ولا يكون شاكرا لله حتى يكون شاكرا للناس ولا يكون شاكرا للناس
وليس بشاكر لله • وقال من علم انه لا يملك من امر نفسه الا كما كان يملك قبل ان
يولد وكما يملك بعد ان يموت فقد انزل نفسه منزلة الضعف والفقر
في التواضع والاستكانة ومن لم ينزل نفسه ذلك المنزل ولم يعلم ان ذلك
كذلك علما يقينا فقد استحق طريقة ابليس واستوجب عقوبة المستكبرين •
وقال اذا احببت ونعمت او عقبة الشر ترتعد خوفا ان يبدو للناس شيء مما فيه
من الشر فمتى تصلح ما بينك وبين الله فهيهات اذكر الموت كالعبد السوء الذي
لا يستحي من مولاه ولا يرجع عن مساويه ولا يعرف احسانه اليه الا عند الحساب
والعقاب فاذكر الموت وما بعد الموت • وقال بل ما ظنك بمن يكره ان يطلع
الناس منه على ما يكره الله ولا يستحي ان يطلع الله منه على ما يكره • سوءة لمن
كان هكذا وعجبا له حيث ترك وتضييع الفرض وتركبه الاشياء ما كره الله
ثم تقرب الى الله بما لم يفرضه عليه وتعاطى النوافل من الحج والغزو ويأمر
وينهى ويدعو الناس زعمهم الى الله ويأبى منه ويأمر ولا يفعل وينهى
ولا ينتهي أترى ان من كان هكذا عرف الله او يقين بنظره اليه وصدق
ان عند الله ثوابا للمطيعين وعقابا للعاصين سوءة لمن كان هكذا قلت
اخبرني عن قول القائل التواضع هو ان تكون اذا خرجت من بيتك لكل
من استقبلك رأيت ان له عليك الفضل فاذا كان الرجل يدعى هذا ويقر

به بلائه غير انه اذا صار الى احتمال شروطه ومحنه لم يحملها الا بالكره من نفسه
ايكون هذا متواضعا قال اذا كانت تلك الشروط من الحقوق الواجبة فلم يقبلها
الا بالكره من نفسه فلم يبلغ هذا درجة المتواضعين وان كانت شروطا دون
الحقوق الواجبة مما لا يخرج العبد ترك شروطها من احد وكان طيب النفس
بقبول الواجبة منها فهو في طريق المتواضعين وعلى منهاجهم • ويروى
عن بعض الحكماء انه كتب الى اخ له اوصيك يا اخي باصلاح ما بينك وبين الله
وايثار محبته على هواك والاقبال على عمل من اليه معادك وفيه حاجتك
واعلم ان ايامك قليلة ونفسك واحدة فاذا فنيت ايامك فلا رجعة لك
فيها ولا عوض لك منها وان عطبت نفسك فلا نفس لك غيرها • وهل تدري
يا اخي ما اصلاح ما بينك وبين الله ان لا يأتيه منك شئ الا كان له فيك
رضى فان ضعفت عن الرضى بكل ما يأتيك من حكم الله وامره فلا تضعف
عن الصبر فان له الرضى بحال عبده ما دام العبد راضيا بحكمه وامره وله الرضى
بصبر عبده على حكمه وامره ما دام العبد صابرا على ذلك فله فيهما الرضى جميعا
واما عملك فالوفاء بعهده والشكر على نعمه • واما حاجتك فمغفرته وعفوه فان الله
سبحانه خلق آدم وذريته وخلق الجنة ثوابا لاهل طاعته ورحمته وخلق النار
عقابا لاهل معصيته وسخطه فنعوذ بالله من سخطه وعقابه • فتعاهد يا اخي
ايامك في ليلك ونهارك وجميع احوالك ما انت عليه وما انت عليه وتعاهد
ضميرك فنقه وخلصه وسلمه حتى يكون نقيا مما يخاف عليه العقاب فارغا
لا ترض فيه لذنب فانك غير غائب عن الله طرفة عين يراك ويحصي عليك
مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ليجزيك بذلك يوم القيمة ان خيرا فخير
وان شرا فشر فلا يغيبن عنك ذكره فان حاجتك اليه ولا حاجة له اليك •

ولا يأتيك منه شئ الا وانت به رضي

واعلم ان اصل

واعلم ان اصل كل قول العمل واصل كل عمل العلم واصل كل ذلك التوفيق
مع صحة تركيب العقل وكثرة الفكر فان قدرت ان لا تكون بشيء اعلم منك
بالله فافعل فان القول والعمل والعلم وغير ذلك هو المراد به تبارك وتعالى
وان افضل الناس اقربهم من الله واقربهم منه اعلمهم به • وقد بلغنا ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال تفاضل الناس بالمعرفة • وقال ابن مسعود
ذهب عمر بتسعة اعشار العلم وانما يعني بذلك العلم بالله واعلم يا اخي
ان الناس انما يخلصون في اعمالهم على قدر معرفتهم بالله وانما يثقون
بوعد الله على قدر معرفتهم به ويستحيون الله على قدر معرفتهم به ويتواضعون
لله على قدر معرفتهم به ويصدقون في اعمالهم ويكلاهم على قدر معرفتهم
بالله ويرضون عن الله ويسلمون لامره ويفوضون اليه امورهم على قدر
معرفتهم به ويشكرون الله على نعمه على قدر معرفتهم به ويرجون الله ويخافونه
على قدر معرفتهم به ويحسنون به الظن على قدر معرفتهم به ويصبرون على طاعته
وعن معصيته وعلى كتمان طاعته وعلى المصائب التي تنزل بها احكامه
على قدر معرفتهم به ويحبون ما احب ويبغضون ما ابغض على قدر معرفتهم
فما فاتته المعرفة بالله دخله النقص في جميع ما ذكرنا على حسب ما فاته من المعرفة
وعلى حسب ما رزق فلذلك حظه من الخير والقربة اليه فالتمسها يا اخي من قبلها
التماس من لا يستاهل ان يعطاها فان العلماء قد صاروا الى فضيلة العلم على
قدر ما استوا من الطلب ووضعوا الاشياء مواضعها • فاذا اصبحت وادركت
شيئا من الخير فانظر كيف شكرك على ما انعم به عليك ربك في ليلتك
وكيف توبتك مما تتاب منه فقد قال تبارك وتعالى لئن شكرتم لازيدنكم
وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون • واذا دخلت في شيء

من الحيرة فانظر من كان بدؤه وعلى من اتمامه وانه لو قيل لك من احب اليك
ان تعمل له لقلت الله فليحقق ضميره قلبك ما عبر واقرّ به لسانك واعلم
يا اخي ان اهل الدنيا والآخرة بين سرور وهموم فاهل سرور الآخرة اهل الجنة
وان افضل سرورهم النظر الى الله وان افضل سرور المؤمن في الدنيا
سروره بربه وبانه عبده والتصديق بذلك انسه بمراقبته ومناجاته وبجل ما يعز
له وعلامة انسه بعمله وجود حلاوة العمل له وشدة المحب لخدمته ومحال ان يستانس
العامل بعمله وهو غير مستانس بمن يعمل له او غير خائف منه واعلم يا اخي لو ان
الذي تطلبه وتعالجه من نفسك من الطاعة والاستقامة لقد كنت تعالجه من
جميع الانس ولد آدم لكان في الله قليلا فكيف وانما هي نفسة واحدة في بام
قلبه فالزم يا اخي المحافظة والمداومة على التعاهد في المراقبة فلو كانت الدنيا كلها
لك فبذلتها ونفسك معها شكرا لما انعم عليك من معرفته وانه ربك وانت
عنده وانه هو اكرمك بعبوديته ونهاك عن عبودية غيره لكان ذلك كله قليلا
حقيرا في جنب نعمته عليك في ذلك فلا تضيعها بشغل ما لا حاجة لك فيه فانه
لا غنا بك عن معرفة احسانه اليك كما لا غنا بك عن معرفة اساءة نفسك •
فان العبد المؤمن بين ذنب ونعمة وبين شكر واستغفار والحمد لله على ما انعم
علينا وعلمنا ما لم نكن نعلم وكان فضل الله علينا عظيما • ويروى عن بعض
الحكما انه قال احمد الله اليكم حمد من لا يعرف احسانا الا منه ولا يعرف معبودا
غيره واسئله توكل المنقطعين بصدق الانقطاع اليه • اما بعد فان الله تعالى
خص اهل ولايته بغبطة الانقطاع اليه لبعدهم تواتر نعمه ودوام احسانه
وفضله فانفرقت هموم الدنيا من قلوبهم وعظم شغل الآخرة في صدورهم
لما سكنها من هيبة ربهم فالزموا قلوبهم ذل العبودية وطرحوا انفسهم في لجة

التوكل على الله واعلم يا اخي انك لا تكون متوكلا على الله الا بقطع كل مؤثر
دون الله وكيف لا تسخو نفسك بقطع كل علاقة من قلبك وتفرغ قلبك
للاقبال على الله وصدق التوكل عليه والله حسب من توكل عليه والمتوكل الصادق
في توكله لا يجد قلبه يخضع لمخلوق لان قلبه مملو بالثقة بضمان الله والمتوكل
الصادق في توكله القليل من عطايا الله عظيم عنده عند صغر قدره لمعرفته
بعظيم قدر الله فهو ساكن الى روح اليقين وهي المنزلة يغبط بها اهل
الحرص على الدنيا فمن سكن قلبه الى انه ليس نعمة في السما والارض الا وهي لله
استراح قلبه من عذاب الحرص ما سمعته يقول هل من خالق غير الله يرزقكم من السما
والارض وقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين • فاذا لزمت الثقة
قلبك فانما انت ناظر الى الله لان الملك لله دون خلقه وبقدر ثقتك
بالله يعظم حرصك على الدنيا فخالف حرصك على الدنيا بالقنوع بما قسم لك فانك
تشرع في عداوة الحرص على الدنيا لان الحرص لا يعطي ولا يمنع والمتوكل على الله
استغنى بالمعطي المانع عمن ليس بمانع ولا معط فهو غني بالله غني عمن سواه الفقير
الى الله قد سكن قلبه عن الاضطراب فليس لمخلوق في قلبه مع الخالق اضطراب
فمن وثق بغير الله لا يغنيه والمتوكل لزم التقوى فيجعل الله له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب لم يبق من حيث يحتسب • وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله
بالغ امره قد جعل الله لكل شي قدرا فالمتوكل توكل على الله في حاجاته كلها من
امور آخرته ودنياه وقطع رجاه ممن سواه ولم ير لنفسه موضعا لاختيار نفسه
لان الله حسبه ومن كان كذلك فقد سكن الى روح اليقين • وهذه المنزلة التي
لا منزلة ارفع منها في سكون القلب الى الله والاطمانينة بموعود الله لانه
قد جعل الله حسبه من جميع خلقه ومن كان الله حسبه فلا يجد فقد شي لان الله

قد ضمن له وهو بالغ امره واعلم انك والخلق جميعا مضطرون الى الله
في كل حال وكل حركة وكل سكون لانه الغني وحده ومن وثق بغير الله فقد رضي
بان ملكا اكبر من ملك الله ومن وثق بالله استغنى به لان الله حسبه وفي الله
خلف من جميع الخلق وليس في احد خلف من الله لان الله الغني وحده ۝
فاذا علمت ان الله حسب من توكل عليه فكيف لا تطلب الكفاية بالتوكل على الله
عز وجل الست تعلم ان الله الرزاق فانه قد قسم بين عباده معايشهم وقد فضل
بعضهم في الرزق وقد فرغ مما قضى وقدر في ذلك فكيف تعني بعد علمك بطلب
ما قد فرغ لك منه مقداره او لا تسمع لقول الله عز وجل وان يمسسك الله بضر فلا كاشف
له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله فكيف يطلب كشف الضر من عند غير الله
ام كيف يطلب النفع من عند غير الله وكيف لا يكون التعب على قلبك طلب كشف
الضر وطلب النفع من عنده وحده اذ علمت ان ذلك كله انما هو بيد الله وحده
وكيف تخاف فوت شيء من الخير يريده الله بك وان لم يرده بك فمن يعطيك ذلك
او يبلغك اياه • والمتوكل على الله لا يلتفت الى الدنيا لانه لا يراها لنفسه خطرا
ولا يراها ونفسه وجميع ما فيها الا لله ويستوي عنده ركوب البحر والمشي في البر والانس
والوحشة والعمل والجلوس لان الله تعالى كاف من توكل عليه او لا تسمع لقوله تعالى
اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه فالمتوكل على الله المكتفي بعلمه
بالله عن الاشتغال بغيره لانه علم ان الذي يوصل اليه النافع هو الله وحده لا شريك له
وايضا انه اذا سكن قلبك الى الله لم تخف غيره لان الله حسب من توكل عليه
ومن علامة المتوكل ان يؤثر الصدق حيث يضره على الكذب حيث ينفعه لانه
لم يصح لمن توكل عليه ان يخاف غيره وكذلك اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر
لم يخش غير الله لان رجاه من الله اكثر من خوفه من توعد المخلوقين لان المتوكل على الله

اخرج

اخرج من قلبه كل مخوف ومحذور ومخزون دون الله حتى اتصل خوفه ورجاؤه
بالله واعلم ان المعادن انما تحضرك عند اخراج العالم من قلبك فتتخاص عندك
الى مسالك العز والغنا بالله لانك تعلم انه لا مانع ولا معطي ولا ضار ولا نافع
الا الله وحده فلا ترغب عن الله بجهلك فتخضع لمن دونه عند تخويف
الشيطان فيستولي عليك عند ذلك ولا تسمع لقوله الشيطان يعدكم الفقر
فما بعدك من مواعيد الشيطان مع ضمان الرحمن واعلم انك لا تكون متوكلا على الله
تعالى حتى تسلك منهاج المضي اليه على السكون والاطمانينة الى الله وحتى تعبد الله
راضيا بما يصيرك اليه لانك لا تعرف غيره فاذا صرت الى هذه المنزلة غلبت
على قلبك عظمته وجلاله واستقرت ذنوب الملائكة للذين لا يفترون لان
الخلق كلهم مقصرون عن حقه لعظيم جلاله واعلم ان الله سبحانه خص المتوكلين عليه
بمنازل السلامة وحجب عنهم كل آفة فهم ينظرون الى الله فيما يأملون قد حجب
قلوبهم عمن سواه فلا يرجون من احسانه واستغنوا بذكره عن ذكر غيره واعلم انك لا تكون
متوكلا حتى تصفو من كل ملك لنفسك مع ملك الدنيا وحتى لا تثق الا بالله
وحده لا شريك له وحتى تسمي متوكلا على الله وحده فلا يذهبن بك الطمع
الى غير الله الا ترى ان الذي طمعت بما في يديه ابليس هو في ملك الله هل في السما
حاجز يحجزك عن الله فاعلم انك لا تقدر ان تفر من رزقك كما لا تقدر ان تفر من
الموت اما سمعت الله تعالى يقول الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم •
فاسكن بالرضى الى موعود الله في رزقه كما تسكن الى انك ميت واقطع الاشتغال
بذكر الاسباب من قلبك واعلم ان الله يرزقك بسبب وبغير سبب وكل سبب فهو
ثابت لا تعلم متى يأتيك رزقك كما لا تعلم متى يأتيك الموت الا ترى ان الله وعدك
ان يرزقك وغيب رزقك عنك بالقضاء وله وقت ينزل فلو جهلت بحيلة

ان يأتيك قبل وقته لم تقدر على ذلك حتى ينزل في وقته اما سمعت الله عز وجل
يقول وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم
تنطقون واعلم ان الواثق بالله تنفي عن قلبه التهمة لله وان كنت في ظل
سبب فلا يلتفت قلبك الى السبب ولكن قلبك مع الله عز وجل واعلم ان
الفقير ان لا تنفق الا باذن السيد فاعقد قلبك تسدد لانه ان اعطاك
لم يقدر اهل الارض ان يمنعوك وان منعك لم يقدروا ان يعطوك لان سلطانه
عظيم وتوكلك عليه يكفيك فالتوكل سكون القلب الى المضمون فمن قطع
تعلق القلب بالاسباب لم ير شيئا الا الله لان قدر الله جار على المتوكل وغيره
او لا تسمع لقوله تعالى وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع
العليم واعلم وقد علم المتوكل علما يقينا وسكن قلبه الى ذلك ان ما قسم له قدر
لو كان في ذنب الريح لادركه وان ما لم يقسم له ولم يقدر لو كان بين يديه
وجهد اهل السموات والارض ان يوصلوا اليه مثل ذرة او خردلة ما قدروا
على ذلك وقد قال ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم وقال
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فلم تحقق لهم ايمانا الا بتوكلهم عليه • وقالوا
على الله توكلنا • وقالوا وما لنا ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا
فالتوكل محض الايمان لانه فريضة على العباد ولا يكون الايمان الا بالتوكل
والتوكل يزيد وينقص • كما ان الايمان يزيد وينقص
والناس يتفاضلون في التوكل
واليقين على قدر
الايمان

